صفحة

من تاريخ العراق الحديث

من سنة ١٩١٤ الى سنة ١٩٢٦

تكوين الحكم الوطني في العراق

مذكرتان خطيرتان

الأولى بقلم

السر برسي كوكس

والثانية بقلم

السر هنري دوبس

تعريب

بشير فرنسيس

من جامعة ليفربول - انكلترة

قدم لهما كلمة نفيسة

صاحب المعالي العلامة الشيخ محمد رضا الشبيبي

(الطبعة الأولى)

السعر : ١٥٠ فلسا

طبع بمطبعة الاتحاد الجديدة بالموصل



صاحب الجلالة الملك فيصل الاول

باني مجد العراق وباعث نهضته المباركة

كلمة سامية

لا يعرف الفضل الا ذووه

« نصدر كتابنا هذا بالكلمة السامية التي تفضل بها علينا »

« صاحب المعالي العلامة الجليل الشيخ محمد رضا الشبيبي حفظه الله »

ـ المعرب ـ

زارني في السنة الماضية السيد بشير فرجو ، استاذ اللغة الانكليزية في المدارس التابعة لوزارة المعارف، وأطلعني على مذكرتين دونتا باللغة الانكليزية عن كل من السر برسي كوكس والسر هنري دوبس بتدوينهما ، وسألني رأيي في نقلهما الى اللغة العربية ، فأشرت عليه بذلك ، وحبذت له المبادرة الى العمل المذكور لعلاقته بتاريخ العراق في فترة الاحتلال .

وقد أرسل إلي بعد ذلك بنماذج من الترجمة فألفيت هاتين المذكرتين جديرتين بالترجمة، خليقتين بالمطالعة، يستفيد منهما من يعني بتاريخ العراق في الفترة المشار اليها ، تلك الفترة التى وضعت فيها اسس السياسة الانكليزية ورسم منهاجها المتبع في الدولة العراقية ، ولا تخلو هاتان المذكرتان من مغامز وآراء مدخولة لا يقرها المنصفون ولا يستسيغها الوطنيون المخلصون، ومع هذا كله فاننا نشكر للمترجم عنايته بترجمة هذه المجموعة عن اللغة الانكليزية لما فيها من متعة وفائدة تاريخية .

بغداد في: ٢٢ شوال ١٣٧٠
٢٦ تموز ١٩٥١

محمد رضا الشبيبي

اهداء الكتاب

الى

صاحب المعالي العلامة الجليل الشيخ محمد رضا الشبيبي

الذي بفضل تشجيعه وتأييده ظهر هذا الكتاب

الى حيز الوجود

(المعرب)





العلامة الشيخ محمد رضا الشبيبي

رئيس المجمع العلمي العراقي ووزير المعارف السابق

مقدمة المعرب

كان صديقي الاستاذ السيد عبد الرزاق الحسني قد لفت نظري قبل مدة من الزمن الى أهمية تعريب مذكرتين تاريخيتين خطيرتين ، احـداهما للسر برسي كوكس والثانية للسر هنري دوبس (وكان كل منهما قد أشغل منصب « المندوب السامى البريطاني فى العـراق » بضع سنوات) لاحتواء هـاتين المذكرتين على أسرار تكون الحكم الوطني فى العراق وعلى موضوعات اخرى. وكان المندوبان البريطانيان الساميان قد وضعا مذكرتيهما تلبية لطلب السيدة « فلورانس بيل Florence Bell » والدة المس بيل لتلقيا ضوءاً على الحوادث التاريخية المختلفة التي مر فيها العـراق واشتركت ابنتها المس بيل فيهـا مع المندوبين المشار اليهما .

وقد نشرت السيدة فلورانس هاتين المذكرتين مـع رسائل كريمتهـا المس بيل (المرسلة اليها والى افراد العائلة فى أوقات مختلفـة) فى كتاب عنوانه « رسائل كيرترود بيل » أي « The Letters of Gertrude Bell » الذي طبع مراراً عديدة .

كانت المس بيل تشغل منصب سكرتيرة الشؤون الشرقية فى دار الاعتماد البريطانية في بغداد خلال الفترة التي كان السر برسي كوكس يبذل قصارى جهده مع سماحة السيد عبد الرحمن الكيلاني نقيب أشراف بغداد ومع غيره من أقطاب الرجال في البلاد لتكوين حكومة وطنية مستقلة في العراق تحل محل حكومة الاحتلال البريطانية فيه ، وقد بقيت فى منصبها هذا أيام السر

هنري دوبس ، فكان من الطبيعي ان تلم بالصغيرة والكبيرة من الأمور العراقية المتنوعة .

ولما عرضت أمر تعربي لهاتين المذكرتين الخطيرتين على معالي العلامة الشيخ محمدرضا الشبيبي وزير المعارف العراقية الأسبق ورئيس المجمع العلمي العراقى السابق حبذ الفكرة كثيراً وشجعنى على المضي فى تحقيقها قدماً ، وها اني وقد انتهيت من نقل المذكرتين الى اللغة القحطانية العزيزة بكل أمانة أقدمها الى أبناء وطني الأعزاء ليطلعوا على ما يقوله الاجنبي عنا وفينا ويزودونى بما يتراءى لهم حولها لأضيف ذلك الى مادة الكتاب فى طبعته الثانية انشاء الله .

لقد جعلت عنوان هذا الكتيب (الذي يحتوي على هاتين المذكرتين) « تكوين الحكم الوطني في العراق » وقسمت مادته الى فقرات أعطيتها عناوين مناسبة ، كما اني حصلت على موافقة شركة الطبع « ايرنيست بين الشهيرة Ernest Benn Publishers Ltd » فى لندن لتعريب هاتين المذكرتين فى كتيب يسهل اقتناؤه .

وأرجو ان أكون قد قمت بما تقدم ببعض الواجب الوطني المقدس الذي يقضي علي ان أقضي اوقات فراغي في انتاج ما يفيد بلادي والله أسأل ان يسدد خطانا ويوفقنا الى ما فيه خير هذه الأمة وهو ولينا ونعم الوكيل .

الموصل فى ٢٥ تموز ١٩٥١ بشير فرجو

مذكرة
السر برسى كوكس

قصة المس بيل

وتكوين الحكم الوطني في العراق

مذكرة تاريخية مجملة

من السر برسي كوكس الى والدة المس بيل

يقول السر برسي كوكس أول مندوب سام بريطاني في العراق :

لما قررت السيدة والدة المس بيل طبع سلسلة الرسائل التي كانت قد أرسلتها اليها ابنتها العظيمة المأسوف عليها المس بيل من بلاد الشرق الاوسط، طلبت إلي والى السر هنري دوبس الذي خلفني كمندوب سام في العراق ان يكتب كل منا اليهـا رسالة على شكل مذكرة تاريخية موجزة تلقي ضوءاً على الحوادث التي وقعت في المدة التي في خلالها اشتركت معنا ابنتها المس بيل في الجهود التي بذلناها في تكوين حكومة وطنية في العراق تحت رعاية وارشاد بريطانيا العظمى . وعليه فاني رحبت بهذا الطلب كل الترحيب اذ سنحت لي به الفرصة لأشيد بذكرى صديقة عزيزة وزميلة مخلصة كانت متفرغة بكليتها للعمل الجدي بمعيتي مدة ثماني سنوات كاملة ، انتهينا في خلالها من اكمال هذا الواجب .

كوكس يتعرف بالمس بيل

تعرفت لأول مرة بالمس جرترود بيـل في دار اصـدقاء الطرفين : السر ريتشموند القنصل البريطاني فى بغداد آنئذ والسيدة ريتشي وذلك فى شتاء سنة ١٩٠٩ حيث مكثت ضيفاً رسمياً عندهما لمدة بضعة اسابيع موفداً بمهمة من قبل مقر ادارة النفـوذ البريطاني فى الخليج الفارسى ، وكان السر ريتشموند قد دبر أمر التعارف بينى وبين المس بيل لتتسنى لها فرصة المباحثة معي في امكانية قيامها فى السنة التالية بمشروع طالما كانت تصبو اليه وهو ان تقوم برحلة برية تخترق بها جزيرة العرب عرضاً مبتدئة من احد موانىء الخليج الفـارسى على ان تتوجـه منه الى هدفها الخاص آنئذ وهو شمالي نجد حيث كانت امارة ابن رشيد وعاصمته حائـل ، ذلك الامير الذي كان تشارلس داوتي الرحالة الشهير في الجزيرة قد بحث كثيراً عن اجداده وعاصمتهم حائل فى كتابه الخالد عن جزيرة العرب ، وقد كانت النقطة التى ارادت المس بيل ان تبدأ رحلتها منها داخلة ضمن منطقتي بصفتي القنصـل البريطاني آنئذ فيمنطقة الخليج، غير انه لسوء الحظ كانت العلاقات المتبادلة بين قبائل تلك المنطقة مضطربة الى درجة تجعل محاولة القيام برحلة من أية نقطة من ذلك الساحل العربي تبوء بالفشل حتما ، فاضطررت ان أنصح المس بيل ان تؤجل مشروعها هذا الى فرصة اخرى ، فوجهت حينئذ نظرها من جديد للقيـام برحلة في البـلاد الغربية المجاورة ، وفي ربيـع سنة ١٩١٠ علمت بانها قد وصلت ثانية الى سوريا حيث بدأت من مدينة حلب برحـلة استغرقت فيهـا خمسة اشهر، فى خلالهـا مرت بمدينة بغداد ومنها توجهت

الى شمالي العراق ومنه دخلت الى الاراضي التركية حتى وصلت الى مدينة قونية ووضعت بعد ذلك كتابا بعنوان « من عموراث الى عموراث » (Amurath to Amurath) وصفت فيه رحلتها هذه وذلك في سنة ١٩١١.

المس بيل تقوم برحلتها المنشودة الى نجد

لم تمر اربع سنوات على تعرفي بالمس بيل حتى علمت بانها قد خيمت مرة ثانية في سوريا قرب مدينة دمشق وذلك في كانون الاول من سنة ١٩١٣ وانها قد نجحت في هذه المرة في التخلص من أيدي الموظفين العثمانيين العاجزين هناك وتوجهت برحلة الى شمالي نجد حيث كانت رحلتها مليئة بالحوادث والمغامرات ثم عادت منها سالمة في آذار من سنة ١٩١٤ بعد ان أكملت غايتها ، ولكنها كانت في أشد الحاجة الى الراحة من تعبها المضني مما قاسته من احوال السفر في الصحراء ، ولما حدثت الحرب العظمى لم تكن المس بيل قد قضت من الوقت بعد رحلتها الشاقة ما يساعدها على استعادة صحتها الاعتيادية وتسجيل مذكرات هذه الرحلة اذ ان انفجار الحرب جعل الحاجة ماسة لخدماتها ، فلو كان قد سمح لها بالعودة ثانية من بغداد الى وطنها لمدة من الزمن ، فما لا شك فيه ان أول واجب كانت تقوم به هو تسجيلها وطبعها مذكرات تلك الرحلة ، غير ان ذلك مع الاسف لم يتح لها ، لذا فان قيام الدكتور دافيد هو كارث صديقها القديم ومرجعنا الكبير فيما يختص بالبلاد العربية بنشره رسالة مستقاة من مذكراتها واختباراتها وعرضه اياها على الجمعية الجغرافية الملكية البريطانية قبل طبع هذا الكتاب يعتبر تسلية لنا عما فقدناه بفقدها ، وعلى كل فبفضل رسالته هذه لم يفقد علم الجغرافيا نتائج رحلتها.

المس بيل تأتي للعمل السياسي في العراق وتموت فيه

وبعد الاتصال القصير المدى الذي جرى بيني وبين المس بيل كما أوضحت آنفا وذلك في سنتي ١٩٠٩ و ١٩١٠ لم نلتـق ثانية حتى ربيع سنة ١٩١٦ حين كانت قد أرسلت الى العراق بمهمة رسميـة من قبل مركز القسم العربي للاستعلامات البريطانية في القـاهرة حيث كانت قد عملت مدة بضعة أشهر فيما يختص بالقضايا العربيـة وعلى الاخص فيما يتعلق بالعلاقات بين القبـائل وعليه حضرت الى مركز قيـادة الجنرال السر برسي ليكس فى البصرة للالتحاق والعمل في المركز العام هناك للاستعلامات البريطانية في العراق. وكانت الغاية من ايفادها هذا هو انها كانت ذات خبرة فى مشاكل وشؤون السياسة العربية فى الحجاز فكان عليها ان تشتغل من جهة العراق فى قضايا القبائل فى تلك البلاد وتوجد صلة باعمال العملاء الذين سبقوها في هذه الخدمة فى مركز استعلامات البصرة. وبعد ان قضت بضعة اسابيع في القيام بهذا الواجب قررت السلطات العسكرية هناك انتهاء مهمتها، ونظراً لكونها سيدة ومن الصعب ابقائها تعمل بصورة ثابتة في مركز قيادة عسكري عرضوا خـدماتها علي بصفتي اكبر موظف سياسي بريطاني فى العراق آنئذ فرحبت بهـذا العرض أيما ترحيب وبذلك بدأت المس بيل خدماتهـا الجدية الخالصة بمعيتي ومع الذين خلفوني من بعدي في وظيفتي السياسية هذه تلك الخدمات التى دامت مدة عشر سنوات انتهت بموتها الغير منتظر في بغداد وهي فى مكتب عملها وذلك فى اليوم الحادي عشر من شهر تموز سنة ١٩٢٦.

اعمال السر برسي كوكس العسكرية

كانت واجباتي بصفتي كبير الموظفين السياسيين البريطانيين التابعين لمركز القيادة العسكرية العامة البريطانية في العراق منها عسكرية ومنها مدنية وذلك عندما التحقت المس بيل في الخدمة بمعيتي ، اذ كنت واسطة للاتصال من جهة بين القيادة العسكرية وأهالي البلاد ، ومن جهة اخرى بينهم وبين مستشار القيادة في اتصالاته السياسية معهم وعليه فكنت أعمل كعضو في المركز العام للاستعلامات البريطانية في العراق وكنت دائما على تمام الاتصال بذلك الفرع أساعد فيه في العمل في اختبار الاسرى والجواسيس وفي غربلة المعلومات والاخباريات التي تصل اليه واعداد الرسل والمترجين له ... الخ

أعماله المدنية السياسية

اما واجباتي المدنية البحتة فقد كانت تحتم علي بان أعمل تحت نظارة القيادة العسكرية على ان أنجز بقدر ما كانت تسمح لي به ظروف الحرب المتقلبة التأكيدات والوعود التي كنا قد قطعناها في مبدأ حملتنا العسكرية للعرب سكان مناطق الخليج وجنوبي العراق ، تلك التأكيدات التي يمكنني ان أثبتها فيما يلي :

توطيد النفوذ البريطاني في بلاد العرب : [Pax Brittannica]

تعهدات بريطانيا لعرب الخليج وابن سعود

ان تعهداتنا للعرب في امارات الخليج الفارسي تلك التعهدات التي فرضناها على أنفسنا تأمينا لنشر وتوثيق العلاقات والتحالف بين العرب وبريطانيا (Pax Brittannica) خلقت لنا حتما على ممر الاجيال سلسلة من المعاهدات

والالتزامات تجاه أمراء البلاد العربية الواقعة على سواحل الخليج وربطتنا بمسؤوليات لا يمكننا مهما كلفنا الامر التخلي عنها ، فقد كانت لنا معاهدات قديمة العهد مع سلطان مسقط ومثلها مع شيوخ امارة ساحل القرصان والمعروفة الآن باسم عمان المهادنة (Trucial Omman) وكذلك مع امير البحرين ومشيخة القطر، كما كانت علاقاتنا ودية وقوية مع ابن سعود زعيم الوهابيين في جنوبي نجد آنئذ والذي نجح سنة ١٩١٣ في نشر سلطان مملكته المستقلة الى سواحل الخليج الفارسي والذي كان مستقبل رخائه ونجاحه متوقف بصورة رئيسية على اطلاعنا على خططه واصلاحاته واقرارنا اياها وتعاوننا الودي معه في انجازها ، كما وكنا قد تعهدنا واكدنا لأمير الكويت الذي تقع بلاده في أعلى ساحل الخليج استعدادنا لتأييده ومعاونته ضد اي اعتداء من جانب الاتراك على استقلال بلاده ، واخيراً كنا قد تعهدتنا لشيخ المحمرة على ساحل شط العرب الذي كانت لنا معه صلات تجارية قوية والذي كان عربي الجنسية لكنه تابع لحكم الفرس باننا كنا مستعدين لتأييده في كل ما يؤمن حقوقه في علاقاته مع حكومتي الفرس وتركيا .

كوكس يصدر اول بيان رسمي باولى تعهدات بريطانية للعرب

لقد كانت روابط التحالف والصداقة هذه ذات قيمة كبيرة جداً عندما لما حان الوقت الذي كنا نفكر فيه باحتمال دخول الاتراك في الحرب ضدنا وعليه فتأمينا لكل ما يمكن الاستفادة من هذه الروابط كان من الواضح انه من الاهمية بمكان ان نعرض امام أصدقائنا قبل كل شيء الظروف التي قد تفرضها علينا الحرب وان نتخذ عند ذلك الاجراءات السريعة اللازمة التي

تطمنهم باننا قادرون على دره الخطر الذي سيجابهونه بصفتهم أصدقاء لنا وانّنا عازمون على اتخاذ الخطوات اللازمة لحماية مصالحهم كحمايتنا لمصالحنا وعليه فحالما وصلت الينا أخبار اندلاع الحرب مع الاتراك صدرت الي الأوامر بان أصدر بيانا بالتعهدات المذكورة أعلاه مؤكداً فيه لأصدقائنا العرب في الوقت نفسه باننا سنحمي حرياتهم الشخصية والدينية ونحترمها بكل دقة وان كل ما كنا نريد منهم فى تلك الظروف ان يحافظوا على النظام والسكينة فى بلادهم وألا يسمحوا لأهالي البلاد بان يقوموا باعمال تعتبر مضرة للمصالح البريطانية . ثم صدرت بعد هذا البيان بيانا آخر تعهدنا فيه لهم وللمسلمين جميعاً بحماية جميع الاماكن الدينية المقدسة الواقعة فى المنطقة الحربية من اي اعتداء . فرضي أمراء العرب جداً بهذه التعهدات وربحنا بنتيجة تلك السياسة الحسنة المتبعة معهم من قبلنا لمدة سنين عديدة مضت صداقتهم غير المتغيرة تلك الصداقة الشريفة التى كانت ذات قيمة كبيرة لنا طيلة مدة الحرب .

أول بيان عسكري بريطاني فى العراق

يوم وضعت قوات الحملة العسكرية البريطانية لأول مرة أقدامها فى العراق أي فوق التربة التركية آنذاك وذلك عند بلدة الفاو ، صدرت بدافع تلك الروحية الطيبة بيانا كالبيانات الآنفة الذكر الى العرب سكان شواطيء الانهار في العراق وأكدت لهم باننا كنا فى حالة حرب مع الاتراك فقط وليس مع سكان البلاد وانه طالما أظهر العرب لنا روح الصداقة وامتنعوا عن التجوال حاملي السلاح وعن حماية او محافظة جنود الاتراك فلا خوف عليهم منا مطلقاً .

الحكم العسكري البريطاني في العراق

وكان من واجبنا سيراً على هـذه السياسة وبقدر ما كانت تسمح لنا به الظروف العسكرية آنئذ ان نسهل على السكان الآمنين في البلاد التي كانت تقع تدريجياً تحت احتلالنا القيام باعمالهم الاعتيادية، غير ان أول الصعوبات التي جابهتنا لايجاد ادارة محلية مدنية في وقت كانت الحرب على أشدهـا، كانت بالطبع كبيرة ، وزادهـا شدة انه لما كانت حكومـة الاتراك اجنبية في البلاد ولذا فان جميع الموظفين الاتراك الذين كانوا يديرون الحكم التركي في العراق هربوا مع الجيش التركي المتقهقر وهرب معهم الموظفون الوطنيون الذين كانوا مستخدمين في دوائر العراق المختلفة في عهد الحكم التركي، وكنا نجد ذلك يحدث في كل مـركز أخلي امامنا ولم نتمكن من ان نجد غيرهم من الموظفين ليشغلوا وظائفهم فاضطررنا ان نستعير لذلك الوقت فقط وفي الحقيقة لمدة الحرب فقط موظفين اداريين إما من البريطانيـين او من الهنود الذين كانوا آنئذ مستخدمين في الجيش البريطاني او اننا كنا نجلبهم من موظفي حكومة الهند .

بدء الحكم الوطني العراقي في البصرة

ومع هذا فاننا سرعان ما استقر وضعنا في البصرة باشرنا بتأسيس نظـام حكومي وطني ينطبق وروحية بياناتنا وتعهداتنا التي كنا قد أعلناها للسكان.

وقد كان لهذا الفرع من اعمالي دوائر منفصلة بموظفيها وكنت قد قسمت ساعات عملي بين واجباتي في خدمة مـركز القيادة العامة للجيش سـواء في المركز نفسه او في ميدان الحرب وبـين واجباتي في مـركز ادارتي المدنية في



المس كيرترود بيل

السكرتيرة الشرقية لدار الاعتماد البريطانية

في العراق



السر برسي كوكس

اول مندوب سامي بريطاني في العراق

وفي ايامه توج الامير فيصل ملكا على العراق

البصرة .

اركان النفوذ البريطاني في الشرق يتجمعون في العراق

وكانت المس جرترود بيل قد التحقت بي في البصرة في الظروف التي ذكرناها آنفا والتحق بي كذلك آنئذ الكولونيل السر آرنولد ويلسن الذي كان قد سبق واشتغل بمعيتي مدة بضع سنوات قبل الحرب في مركز ادارة النفوذ البريطاني في الخليج الفارسي ثم في المحمرة ، وقبل ذلك كان يشتغل بمهمة رسمية كعضو من ممثلي بريطانيا في لجنة الحدود التركية الفارسية تلك اللجنة التي نجحت نجاحا باهراً في اعمالها، ومن حسن الحظ انها كانت قد انجزت جميع تلك الاعمال في وقت تمكن فيه اعضاؤها من ان يتفرقوا قبل ان تنفجر نيران الحرب العالمية ، وفي تلك الايام جاءني امداد قيم من الرجال يتكون من ضباط بريطانيين كانوا في خدمة الحكومة الهندية ومن بينهم « المستر هنري دوبس » الذي أعقبني فيما بعد باسم السر هنري دوبس المندوب السامي في العراق وقد كان من الموظفين الكبار في حكومة الهند وذا خبرة ناضجة في الامور المالية والاميرية فانصب لتنظيم الادارة المالية للحكومة الوطنية المحلية ووضعها على قاعدة ثابتة فعالة .

ومن بين الشخصيات الكبيرة الاخرى التي أرسلت لمعاونتي من دائرة القسم السياسي للحكومة البريطانيـة في الهند كان الكولونيل اس . جي . نوكس الذي أصبح بعدئذ رئيساً للامور العدلية في العراق والكولونيل آر . اي . اي . هاملتون الذي يعرف الآن باسم اللورد بلهافن وستانتون والذي أصبح بعد ذلك مندوبا سياسياً في الكويت خلفاً للميجر شكسبير الذي كان

قد أوفد للعمل في بلاط سمو ابن سعود عند ابتداء الحرب العالمية وقتل بشكل مؤلم في موقعة حدثت بين ابن سعود ومنافسه ابن رشيد فحرمت بمقتله بلاده من اكثر الضباط بطولة وكفاءة في وقت كانت بأشد الحاجة فيه الى خدماته ، وكان المستر فيلبي الشخصية الكبيرة الاخرى التي التحقت بي من موظفي حكومة الهند المدنية والذي اشتهر بعدئذ كسائح في أواسط جزيرة العرب ثم جاءني وتركي غيرهم من الرجال العاملين والمخلصين وذلك حسبما كانت تتطلبه حاجة هيئة الموظفين العاملين معي والذين كان يزداد عددهم او ينقص كلما كان مد الحرب يتقدم في صالحنا ويوسع باستمرار البقعة التي كانت تحت ادارتنا .

فترة الانخذال البريطاني في العراق

واني في هذا البحث المختصر لا يمكنني لا بل ليس من الضروري ان أبحث بمظاهر وتطورات الحملة العسكرية البريطانية في العراق كما يجب علي ان أمر من أخبار الحوادث الكثيرة التي وقعت في شتاء سنة ١٩١٥ وربيع سنة ١٩١٦ ومنها انتصار الجنرال طونزند وتقدمه شمالا الى أعلى نهر دجلة وانتهاء ذلك التقدم بموقعة كتيسيفون (سلمان باك) ثم تقهقره الى الكوت وتطويقه وأسره والصعوبات المرعبة التي تحملها جنودنا في محاولاتهم البطولية آنئذ لانقاذ جيوشه المطوقة تلك القصة المؤثرة التي سجلها ضابط شاهد عيان وهو المرحوم ادموند كاندلر في كتابه الذي نشره بعنوان « طريق طويل الى بغداد » .

***

المس بيل محور تشكيل الحكم الوطني فى العراق :

وفى خلال هذه المدة كان تقدم جهودنا مستمر فى خلق ماكنة ادارية وطنية بفروعها المختلفة في جميع ولاية البصرة ، وكانت المس جرترود بيل تشتغل بكل جد كسكرتيرة فى الأمور الشرقية بمعيتي أو بمعية وكيلي الكابتن ويلسون وذلك فى دائرة المستشارية فى البصرة .

مؤتمري عقير والكويت

وفي خلال أواخر فصل الصيف من سنة ١٩١٥ كنت قد رتبت اجتماعا مع سلطان نجد في بلدة عقير (١) وذلك لانهاء مفاوضات المعاهدة التى كانت قد انقطعت بيننا بسبب قيام سموه بالحملة العسكرية غير المثمرة المذكورة آنفاً وبعد ذلك بمدة سنة واحدة تم توقيعه على الوثائق المتفق عليها بين الطرفين ثم دعي سموه الى مؤتمر في الكويت جمع بينه وبين شيوخ الكويت والمحمرة وغيرهم من شيوخ القبائل الذين كان لنا اتصال بهم .

ابن سعود يدعى لزيارة البصرة

وبعد ذلك دعوناه الى زيارة قصيرة للبصرة لاعتقادنا بانه قد يكون من المفيد لسموه أن يطلع على الأعمال الجارية فيها وعلى وضعها آنئذ كميناء وقاعدة عسكرية عظيمة وكذلك قد يكون من المفيد والأهمية بمكان أن نطلع سكان ولاية البصرة على العلاقات المتينة التى كانت تربطنا بامراء العرب

(١) عقير : كثيراً ما تلفظ عجير وهي ميناء للاحساء وعلى الاخص لنجد على ساحل خليج البصرة تبعد مسافة ٦٤ ميلا من جنوب غربي بلدة قطيف و ٢٤ ميلا الى جهة الجنوب الغربي من البحرين وتقع على خليج فرعي صغير يعرف باسمها يتراوح عرض مدخله بين ٢٠٠ و ٣٠٠ يرد .

وزعمائهم في البلاد المجاورة . واني أتذكر جيداً السرور والحماس اللذين باشرت بهما المس جرترود بيل جهودها بهذه المناسبة فى اجراء جميع الترتيبات اللازمة لزيارة السلطان ابن سعود وكانت تأمل متحمسة أن تتعرف بهذه الشخصية العظيمة الجذابة العاملة في مسرح السياسة العربية للحصول على الفائدة المباشرة من ترتيب تلك الزيارة ، ومما لا يسعني نكرانه الحصول على تأمين هدفنا الخفي آنئذ وهو ان تؤدي هذه الزيارة الى قيام المس بيل برحلة الى عاصمته بعد انقشاع غيوم الحرب .

المس بيل تتعرف بابن سعود

اما ابن سعود فانه لما سمعني أذكر له المس بيل ورحلتها ما قبل الحرب الى حائل لم يكن قد سبق له قبل ذلك التاريخ ان اتصل بأية امرأة اوربية كما انه لم يرض تفكيره البدوي ان يستوعب كيف سمح لشخصية من الجنس اللطيف ان تشغل وظيفة رسمية برفقة حملة عسكرية بريطانية ، ولكنه رغم ذلك لما حان الوقت المناسب تعارف مع المس بيل وكانت مباحثاته معها صريحة ورزينة جداً كأنه قديم عهد بالاختلاط بالسيدات الغربيات .

واني عدا اشغالي بهذه الزيارة الملكية وببعض السفرات التي كنت اقوم بها اثناء العطل الاسبوعية الى البصرة وذلك لأكون على اتصال واطلاع بالحوادث الجارية فى دوائر اعمال الادارة المحلية المدنية من جهة، ثم لأطمئن من استراحة زوجتي التي كانت تقوم آنئذ بخدمات ثمينة حسنة لجنود الجيش البريطاني هناك من الجهة الاخرى ، فقد تمكنت من قضاء فصل الشتاء في مركز قيادة السر ستانلي مود في جبهة دجلة ، ذلك الفصل الذي

شاهد استرجاعنا للكوت وعبور جيشنا الفجائي لنهر دجلة عند شمران وزحفه بعد ذلك على مدينة بغداد، ذلك الزحف الذي انتهى باحتلاله للمدينة في ١١ من شهر آذار سنة ١٩١٧ .

الاحتلال البريطاني لمدينة بغداد

ان حادث سقوط بغداد كان ذا أهمية عظمى ومفعما بالاحتمالات المختلفة سواء لنا او للعدو، وقد أثار صدى هذا النجاح الباهر الذي أحرزه الجنرال مود أشد الحماس في جميع انحاء الامبراطورية البريطانية وبلاد الدول المحالفة ، بحيث كان له الاثر الكبير في محو أثر كارثة موقعة الكوت من الاذهان، بينما كانت نتيجته بالنسبة الى الاتراك حرمانهم من مركز عملياتهم الحربية في العراق وجعلهم معرضين لهجوم بريطاني - روسي في منطقة ولاية الموصل .

الجيش الروسي يدخل جنوبي العراق

ان فكرة الاتصال بحلفائنا الروس آنئذ وذلك كمقدمة للعمل الحربي المشترك في شمالي العراق كان أمر يتطلب موافقة القيادة العسكرية العامة ، اذ قبل ذلك بعام واحد كانت ثلة من جنود الروس القوزاق التابعين لجيش الجنرال باراتوف الذي كان معسكراً في كرمنشاه قد دخلت بلدة علي الغربي الواقعة على نهر دجلة في جنوبي العراق فوصلت بذلك خطوطنا العسكرية بعد ان قطعت مسافة ٢٠٠ ميل على ظهور الخيل مارة بكل جرأة من بين جبال بشتكوه وبالطبع فاننا استقبلنا افرادها حينذاك بترحيب خالص . وفي خلال الايام القلائل التي قضوها ضمن حدود معسكرنا لتستريح خيولهم قبل عودتهم الى مقرهم في كرمنشاه أنعمت عليهم القيادة العسكرية البريطانية

العامة بوسام الصليب العسكري البريطاني تقديراً لهذا العمل الباهر الذي قاموا به ... ثم في الوقت نفسه لأن قدومهم هذا كان يعتبر أول اجتماع من نوعه منذ مائة عام مضت ، يحدث بين جنود من الجيشين البريطاني والروسي غير ان الآمال التي كانت قد عقدت على احتمال اجتماع الجيشين ثانية بعد ذلك التقارب منيت مع كل الاسف بفظيع الفشل، اذ رغم عدم وصول اخبار الحوادث آنذاك في روسيا الينا فان تاريخ دخولنا منتصرين الى بغداد كان قد صادف بالضبط تقريباً تاريخ تنازل قيصر روسيا عن العرش وقيام الثورة البلشفية وكان جنود الجيوش الروسية فى الجبهة الفارسية قد تشربوا بسموم البلشفة واصبحوا على وشك الخروج عن الطاعة .

الجيش الروسي يحتل بلدة خانقين

وبالنتيجة فان مستلزمات الوضع العسكري مع مزيد الأسف ليس فقط حالت دون تقدمنا في احتلالنا العسكري الى الحدود العراقية قرب خانقين ولكنها اضطرتنا ايضا أن نوافق على احتلال جيش الجنرال باراتوف الروسي لتلك البلدة ، ومهما كان لذلك من مظهر عسكري فقد كان لهـذه الظاهرة أثرهـا آنئذ فى تبدل الوضع السياسي ، اذ كان اهالي خانقـين قد قاسوا كثيراً من الاحتلال العدائي الروسي سنة ١٩١٦ غير انهم مع هذا قرروا عـدم ابداء أية معارضة للروس فى دخولهم الى بلدتهم في هـذه المرة بعد ما علموا بانهم قد دخلوها بصفتهم حلفائنا وبرضائنا انـ لم يكن بطلب منا . غـير أن السلوك الذى سلكه الجنود الروس مع اهالي تلك البلدة أدى الى تبدل عظيم فى شعور الأهلين تجاهنا ، اذ بعد ايام من بقاء الاحتـلال الروسي

لبلدتهم فقدنا نحن ايضاً بسرعة نفوذنا عندهم وشعورهم الذي كان دائماً حسناً تجاهنا .

ان الاعتبارات العسكرية التي كانت سائدة آنئذ أورثتنا بالطبع من هذا الاحتلال الروسي مشاكل مختلفة اشغلتنا بعده مدة طويلة من الزمن .

انسحاب الروس واحتلال الجيش البريطاني لخانقين

وبعد بضعة اشهر انسحب الروس من خانقين فأعاد الاتراك احتلالها بعدهم مباشرة وأخذوا يكملون ما كان قد قام به اسلافهم من فساد في البلدة ولم نتمكن من احتلالها والسيطرة عليها إلا في شهر كانون الاول من سنة ١٩١٨ غير اننا عندما دخلنا اليها وجدناها في حالة شديدة من التعاسة اذ كان الاتراك قد تركوها في حالة يرثى لها من المجاعة وانتشار الامراض بين الاهلين فجوبهنا بهذه المشاكل الكبيرة عندما باشرنا بتنظيم ادارتها المدنية .

الميجر صون يحكم السليمانية وخانقين

وكان قد عهد أمر ادارة خانقين الى الميجر صون حاكم السليمانية آنئذ وقد كان مشهوراً ليس بشخصيته القوية النافذة فحسب بل بكفاءته النادرة في معرفته وطلاقة لسانه باللغة الكردية ، فانصب هذا بعمل مدة عدة اشهر في تنظيم ادارتها المدنية ونجح كثيراً في تحسين وضعها الى درجة دفعت بالاكراد الساكنين على طرفي الحدود العراقية لدى سماعهم باستعداد السلطات البريطانية في السليمانية لاغاثتهم ان يأتونا بجموع غفيرة وهم جياع وقد انتشر بينهم مرض التيفوس فأغثناهم واستعاد قسم منهم صحته تدريجياً وآخرون ماتوا في المخيمات او المستشفيات التي كنا قد أعددناها لهم هناك . أما الميجر صون

فانه اضطر في ابتداء صيف سنة ١٩١٨ بعد ذلك العمل المنهك وانتهاء معركتنا مع الجوع والمرض ان يأخذ له استراحة لمدة سنة ، فأعقبه في حكم تلك المنطقة الميجر كولد سميث الذى وجد نتاج اعمال سلفه في نمو مستمر ، فأعاد اسكان القرى التي كانت قد نشأت على انقاض الخرائب .

والآن أجد نفسي قد شططت عن اصل موضوع البحث فلنعد قليلا الآن الى البحث عن احداث ايام دخولنا بغداد .

عندما دخلنا بغداد وجدنا البناية التى كانت تشغلها القنصلية البريطانية قبل الحرب قد أشغلت بمستشفى وقد ترك لنا الاتراك فيه عدداً من الجرحى والمرضى وهم في أسوأ حال وكانت الاحتياطات الصحية معدومة فيه بشكل لا يوصف ، فأمنا لهم تدريجياً جميع وسائط الراحة ، وبعد تنظيف البناية المذكورة واجراء الترميمات اللازمة فيها جعلت مقراً للقيادة العسكرية البريطانية ثم صارت فيها بعد مركزاً لدوائر قوة الطيران الملكية البريطانية.

وفي الوقت الذي تشكلت فيه هيئة عسكرية لادارة المدينة ، لم أكن بعد قد شكلت الهيئة المدنية المحلية لادارة ولاية بغداد، وعليه خصصت لي بناية على شاطىء النهر في الجهة الجنوبية من مقر القيادة العسكرية كانت تشغلها قبل دخولنا الى بغداد القنصلية النمساوية وفيها باشرت بتنظيم دوائر اعمال منصبي السياسي المدني في المدينة .

كوكس يبحث عن موظفيه الوطنيين القدماء

ان أول عمل قمت به حال دخولي الى بغداد، كان البحث عن موظفي ومستخدمي القنصلية البريطانية من الوطنيين ما قبل الحرب، أولا لكي





فخامة السيد عبد الرحمن النقيب
رئيس الحكومة العراقية الموقتة
التي نادت بالأمير فيصل ملكا على العراق

اعرف مصيرهم وما اصابهم من أيدي العدو بعـد خروجي من بغداد عند اعلان الحرب، وفى الوقت نفسه لثقتي باني سأستفيد كثيراً من عودتهم الى دائرتي فى تلك الفرصة نظراً لمعلوماتهم الكافية عن احـوال طبقات وافراد السكان فى المدينة .

السيد نارسيسيان وعائلته

فوجدت مع عظيم أسفى ان عائلة نارسيسيان - ذلك الدليل والمترجم الارمنى المخلص للقنصلية البريطانية - فى حالة شديدة من البؤس واليأس وان دائرة الشرطة التركية في بغداد كانت قد قبضت على والدهم قبل دخولنا الى المدينة بمدة وجيزة ولم يعد اليهم كما ولم يسمعوا عنه شيء قط بعد ذلك، ورغم مابذلته من جهد لم احصل أنا كذلك على أية معلومات عن حقيقة شكل مصيره، ولكنه كان بلا شك ضحية العداء الذي استحكم ضده اثناء اشتغاله كمترجم ودليل بريطاني بمعيتي وليس لذلك أية علاقة بأي حقد مفترض ضـده من قبل الشرطة التركية . ومما لاشك فيه انه قد مات ميتة شنيعة فى خلال مدة الاضطراب المحلي التي مرت بين انسحاب الاتراك من بغداد ودخولنا اليها.

كوكس يوثق العلاقات مع نقيب الاشراف

اما واجبي الذي قمت به بعد ذلك فقد كان قيامي بزيارة سماحة السيد عبد الرحمن الكيلاني نقيب اشراف بغداد ورئيس طائفة اسلام السنة فى المدينة وامين الحضرة الكيلانية الذي كان لموقفه تجاهنا ونفوذه على اهالي بغداد الأثر الكبير فى سير اعمالنا . وقد كان للنقيب اثناء عهد الحكم التركي القديم مركزاً سامياً يفوق أي مركز آخر أهمية فى نظر الجمهور ، ومما لا شك فيه

ان ذلك كان بفضل ما كان يقدمه سماحته من مساعدات وما يقوم به من التزامات للحكومة السابقة ، غير انه فقد هذا المركز الممتاز على عهد نظام الحكم التركي الاخير . والحقيقة انه لم يكن مسروراً آنئذ من موقف الاتراك الاخير تجاهه ومعاملتهم اياه فكان وضعه معهم بالطبع دقيقاً يحيط به التحفظ ، غير اني رغم ذلك تمكنت من تأمين تعاونه العلني والحكيم معي اثناء قيامي بجميع الاجراءآت التي كان لها مساس بمصلحة ابناء وطنه ووجدته يسعى جهده لتخفيف وطأة جميع القيود والتشديدات التي كان يتطلبها الحكم الاحتلالي العسكري في المدينة .

وفي الحقيقة اني رأيت الكثير من عظيم مزايا هذا الرجل وخدماته الخالصة أثناء قيامي بواجباتي مما أدى الى تبادل شعور الثقة القوية بيني وبينه وجعلني مضطراً اذا اكون في موقف حسن تجاه قضايا بلاده وهي ذكرى حسنة ستبقى له على الدوام .

اشراف بغداد ووفود القبائل والجهات يرحبون بمقدم الانكليز

وحالما انتشر خبر احتلالنا لمدينة بغداد أخذت الوفود المختلفة من جهات العراق تتوافد الى بغداد لزيارتي والترحيب بمقدمنا وفي مقدمتهم اشراف المدينة ثم شيوخ القبائل العراقية القريبة والبعيدة عن بغداد وكان بين هؤلاء الشيوخ من لم يسبق له قط ان خضع للحكم التركي فكانوا غرباء عن بغداد تماما فاجريت الترتيبات اللازمة لمعرفة وتسجيل اسماء وفود الزائرين والجهات التي يمثلونها ونوع العلاقات المتبادلة بينهم ثم نوع ودرجة اهمية مركز كل منهم وهي اجراءات لم يكن من السهل علينا ونحن حديثو العهد بوجودنا في هذه البلاد

ان نضبط قيدها و تحديد تفاصيلها، وكان هذا النوع من الواجب الذي جعلني أشعر بحاجتي الى مساعدة المس جرترود بيل تلك السيدة التي لا تعرف الملل من العمل فقررت استدعائها مع واحد او اثنين آخرين من الشخصيات البريطانية الذين كانوا يعملون معها في مركز استعلامات البصرة ليساعدوني في تكوين نواة لادارتي المدنية للعراق من بغداد .

المس بيل تغربل الوفود وبرسي كوكس يستقبلهم

وكان علي ان أستقبل جميع الزائرين من الشيوخ وأرحب بهم وأقوم بتأمين ضيافتهم وتقديم بعض الهدايا لهم ، ثم أصرفهم الى مناطقهم بعد ان أوصيهم بوجوب محافظتهم على السلام والهدوء في مناطقهم والانصراف الى أعمالهم الزراعية . وهكذا فقد كان القسم الكبير من أوقاتي نهاراً يصرف في قيامي بهذه المواجهات وكانت المس بيل تعمل كغربال تقوم بتصفية الزائرين اذ كانت ترسل الي كل فرد من الشخصيات المختلفة وبيده ورقة من عندها توضح لي فيها القبيلة التي ينتمي اليها والمنطقة التي يمثلها ثم غايته من مواجهتي وهكذا فبفضل غربلة المس بيل تمكنت من توفير وقت لا حد له كان علي ان أصرفه للوصول الى هدفي ، وأتذكر انني كلما كنت أذكر للجنرال مود القائد العام للجيش البريطاني بانى سأستقدم البعض من موظفي دائرتي السياسية في البصرة الى بغداد ليساعدوني في عملي الشاق هذا ومن جملتهم المس بيل، كنت كثيراً ما أراه يتشاءم من ذكري لهذا الخبر اذ كان يخشى ان يكون قدوم المس بيل الى بغداد سابقة غير مناسبة لغيرها من السيدات الانكليزيات المستخدمات هناك واللواتي قد يطلبن بدورهن المجيء اليها ايضا ، غير اني

اني كنت أذكره دائما بان خدماتها قد خصصت لدائرتي من قبل القائد العام سلفه باعتبارها عضواً طبيعياً من أعضاء دائرة أعمالي السياسية واني في معاملتي اياها لا أميز بينها وبين اي رجل من أعضاء هيئة دائرتي وان ما كان عندها من مؤهلات وخبرة خاصة في الأمور السياسية كانت تفيدني كثيراً في تلك الآونة ، وهكذا وصلت المس بيل الى بغداد في الوقت المناسب وباشرت أعمالها الانفة الذكر بكل جد ونشاط ولم تمر مدة وجيزة على وصولها إلا وأوجدت لها مع السر ستانلي مود القائد العام علاقات شخصية طيبة حسنة.

وفاة الجنرال مود بالكوليرا

ومما أذكره مع مزيد الأسف انني بعد ذلك ببضعة أشهر كنت واياها من بين اعضاء حاشيته عندما حضر حفلة ضيافة في مدينة بغداد فكانت تلك آخر الحفلات التي ظهر فيها امام الجمهور قبل كارثة وفاته بمرض الكوليرا الذي فاجأه ببغداد بعد تلك الحفلة بايام قلائل وفي وقت كان قد وصل فيه الى اوج انتصاراته .

فترة صعبة

وقد كانت هذه الست اشهر الاولى من احتلالنا لبغداد اصعب فترة في الحقيقة على السلطات الادارية المدنية فيها اذ كان الجيش منهمكا في تثبيت اقدامه حول المدينة وبحاجة الى تنظيم وجمع شتات قواته الى اقصى حد ممكن استعداداً لقيامه بحملة في الشتاء من تلك السنة وعليه فلم يكن بوسعه السماح لأي قسم من اقسامه القيام باي واجب في الاماكن البعيدة عن بغداد ، كما انه لم يكن بوسع السلطات المدنية السماح بارسال موظفين

اداريين مدنيين الى تلك الاماكن خوفا من ان تقع حوادث مؤسفة، وعليه فلقد كان بالطبع من الصعب على رجال القبائل في ظروف كهذه وعلى الأخص في وقت كانت قد اشتدت فيه الدعاية التركية الالمانيـة في البـلاد ضدنا أن يؤمنوا بدوام حكمنا في بغداد واننا سنقدر على حمايتهم من نقمة الاتراك اذا ما استعادوا البلاد . ولقد كان الشك سائداً حتى في مدينـة بغداد نفسها في حقيقة نوايا الحلفاء تجاه البلاد اذا ما ربحوا الحرب. والحقيقة أن العقيدة التي كانت تسود الرأي العام آنذاك الى حين نجاح حملتنا العسكرية في خريف سنة ١٩١٨ أن النصر سيكون اخـيراً حليف الدول الوسطى اي المانيا وتركيا او مهما سيكون الأمر فلن يكون في النتيجة غير الصلح .

ان الذين كانوا يفاخرون بأنهم على تمام الاطلاع بالسياسة العالمية من اهالي العراق كانوا يصرحون بان لم يكن هناك من شك ان العراق سيعاد تسليمه الى تركيا مقابل رضائها بتحرير بلجيكا من حكم حلفائها الالمان، فاشاعات كهذه كان لها صداها ومفعولها عند شيوخ القبائل عامة مما جعل العدد الكبير من اقوى اصدقائنا منهم ان يترددوا في موقفهم تجاهنا او انهم يتوقفوا عن التعاون معنا اقلها يكون الى حين انجلاء وضع الحرب والحوادث العالمية .

الحكومة البريطانية تغير سياستها في العراق

تعيين السر برسي كوكس أول مندوب سام في العراق

فبعد كل ما سبق ذكره ، ثم نظراً الى الوضع السياسي الراهن آنذاك والصعوبات العديدة غير العسكرية التي جابهها الحكم العسكري بعد احتلالنا

لولاية بغداد قررت حكومة صاحب الجلالة البريطانية اجراء تبديل في سياستها في العراق وفي مهام وتسمية منصبي بصفتي اكبر موظف سياسي بريطاني تابع للقيادة العامة فيه وصرت اعرف منذ ذلك التاريخ باسم « المندوب المدني السامي » ولما كنت بالطبع لا ازال تحت سلطة القيادة العامة أعطي لي حق الاتصال المباشر بادارة قسم الهند من وزارة الخارجية البريطانية فصارت تصدر باسمها بعد ذلك جميع الاوامر والتعليمات في القضايا غير العسكرية ، واستمرت ادارة القسم المذكور تمدنا بكثير من الارشادات القيمة والحكيمة اثناء السنوات الثلاث الصعبة التى مرت على الادارة المدنية البريطانية في العراق الى سنة ١٩٢١ حين انتقلت ادارة شؤون العراق الى وزارة المستعمرات البريطانية بعد تحوير جوهري جديد عاجل أجرته حكومة صاحب الجلالة فى سياستها نحو العراق .

وكانت تمتدحدود منطقة احتلالنا خارج بغداد فى خلال المدة التى أبحث عنها أي في صيف سنة ١٩١٧ على وجه التقريب كما يلي :

في الجهة اليمنى من بغداد الى بعقوبة الواقعة على نهر ديالى ومن الشمال الى بلدة سامراء الواقعة على نهر دجلة ، اما من جهة الغرب فالى بلدة فلوجة الواقعة على نهر الفرات ومنها جنوبا الى سدة الهندية على النهر نفسه . ففي منطقة ديالى كان سيرنا في الاعمال الحربية بطيئا اذ كان قد أصاب تلك البقعة من العراق كثير من اعمال التخريب على يد الاتراك كما ان رؤوس الجداول التى تروي اراضيها كانت لا تزال بايديهم حتى خريف سنة ١٩١٧ .

أما فى جهة نهر دجلة فلم نجابه أي مشكل هناك اذ ان شيوخ القبائل الذين كانوا قد التحقوا من جديد بالاتراك عند انسحابنا من موقع المدائن

« كتيسيفون » رأوا من الأسلم لهم ان يبقوا مع الاتراك لدى انسحابهم باتجاه الموصل ، وعليه عينت الادارة ابناءهم او افراد مناسبين من أقربائهم بصورة موقتة في جميع البقاع التي كانت داخلة ضمن مناطق مشيخاتهم على طول نهر دجلة فانصب هؤلاء يعملون في أشغالهم الزراعية كما كانوا عليه في وقت السلم.

الحكومة البريطانية تحيي ذكرى ضحايا موقعة الكوت

وقد كان لقرارنا باعادة انشاء بلدة كوت الامارة وقع عظيم جداً لدى الشعب العراقي وهو عمل تعهدنا القيام به من جهة بدافع الضرورة ومن جهة اخرى لاحياء ذكرى اولئك الجنود البريطانيين وأصدقائنا العرب من السكان الذين قتلوا في الدفاع عن البلدة عندما حاصر الاتراك فيها جيشنا. اذ منذ أخلى الاتراك بلدة الكوت وأسرعوا بهزيمتهم امام جيوش الجنرال مود بقيت تلك البلدة مهجورة تماما فكانت أشبه بخرائب متمايلة بين أحراش النخيل وكانت شوارعها إما مملوءة بالأوحال او مسدودة بالسدود والحواجز التي كانت قد أقيمت فيها أثناء المعركة ، وقد هدمت دورها بالقنابل او حفرت وخربت بالخنادق ، فجرى اعادة انشائها بكل مهارة واتقان تحت مراقبة حاكمها السياسي البريطاني ورأى سكان ضواحيها في تجديد بنائها ليس فقط فائدة ومصلحة لهم ولكنهم شعروا ايضا بان ما جرى في نظامها وادارتها من تطور يبعث الأمل على ان حكما جديداً قد تأسس وسيدوم فيها .

القائد بروكينج يحتل الرمادي

اما في جهة نهر الفرات غربي بغداد فلم يكن من شيء لنقوم به حتى نجاح جيوشنا تحت قيادة السر هاري بروكينج في احتلال الرمادي في

تشرين الثاني من سنة ١٩١٧ فقد أخذ شيوخ تلك الجهات يتوافدون الينا لتقديم الطاعة .

اما في جهات الفرات الاوسط أي بين سدة الهندية وسامراء ، فلقد كان الوضع غريبا في بابه اذ لم يكن بامكاننا ابقاء أي جندي بريطاني في البقعة التي تقع جنوبي السدة حتى شهر كانون الاول من سنة ١٩١٧ ، ومع ذلك فلما كانت هذه المنطقة مركزاً مهما لزراعة الحبوب اذ ترويها الجداول التي تجري اليها من نهر الفرات لم يكن من مصلحة الجيش اهمالها بالكلية، وعليه أرسلنا الى بلدة الحلة في شهر ايار من سنة ١٩١٧ حاكما سياسيا ليشرف على ادارتها ولكن سلطته لم تشمل منطقة بلدة الديوانية والبقاع التي تقع في جنوبها حيث كنا قد تركنا معظم امور الادارة الى ترتيبات ومهارة الشيوخ المحليين الذين كنا قد اتفقنا معهم على ذلك اثناء زيارتهم لي يوم دخولنا الاول الى بغداد .

فترة حكم ارهابي في الديوانية

وكان منتظراً من ضعف سيطرتنا على تلك المنطقة في خلال الشهر الاول من احتلالنا لبغداد ان نجد ثلة صغيرة من الجنود الاتراك الذين كانوا قد عزلوا في الديوانية ولم يتمكنوا من الهزيمة مع جيشهم المتراجع قد بقيت مسيطرة هناك الى غاية شهر آب من تلك السنة . وكان يقود هذه الفرقة رجل سفاح من اهالي سرقوسة من قفقاسية وكان قد اعتصم وجماعته في فندق في المدينة يقع على شاطيء النهر وأخذ يرعب السكان بعد ان قتل جميع رؤسائه من ضباط الجيش التركي الذين لاحظ انهم كانوا يميلون الى التسليم

لنا . غير ان سكان تلك البقعة لم يكونوا ليهتموا قط بضيفهم الثقيل هذا ورجاله الذين كانوا يرمونهم بالقنابل انما قاموا بعدة محاولات لاخراجهم لئلا يؤدي بقاؤهم الى توريط اهل المدينة في الدخول في حرب معنا ، ولم يقتنع هذا الرجل بان فترة لعبته هذه قد انتهت إلا بعدما ألقيت القنابل عليه وعلى جماعته من بعض طائراتنا واضطرته على التسليم مع ٣٠ من رجاله الجهلاء الذين ثبتوا في العصيان معه حتى النهاية . وعندما وصل هذا الرجل الى بغداد وجيء به إلي لمواجهتي علمت منه انه يرغب في الخدمة عندنا او في الجيش العربي في الحجاز بعدما رأى ان الاتراك قد خيبوا آماله وهجروه . غير ان طلبه الساذج هذا لم يكن بالامكان قبوله وعليه فبصفته من الضباط الأسرى أرسلناه الى منفى في الهند حيث قضى ما تبقى من ايام الحرب في جو أهدأ من الجو الذى يجده الأسير عادة في معسكر للاسرى ، ولقد كان هذا الرجل جريئاً وذا شخصية جذابة واني أثق بانه قد كتب له حظ سعيد في حياته بعد ذلك .

قضايا شائكة

ولم تكن قضايا العشائر في منطقة الفرات قد أزعجتنا آنذاك بالدرجة التي أتعبتنا فيه القضايا في المدن الاسلامية المقدسة وهي كربلاء والنجف ، اذ كنت قد اتفقت مع شيوخ هاتين البلدتين عندما وفدوا إلي في بغداد كما سبق لي من اتفاق مع شيوخ الفرات الاسفل ، وبعدما أعطيتهم التعليمات اللازمة بان يتولوا ادارة المدينتين هم بانفسهم وكنت ارسل لهم بعض المنح المالية الشهرية وذلك لكي أساعدهم في تقوية مركزهم واعطائه شيئاً من

الصبغة الحكومية الرسمية، ولكن ما ان مر على هذا الوضع عدة اسابيع إلا وثبت لدينا بان ذلك الترتيب الحكومي المحلي كان فاشلا ولا ينطبق ومصلحة اهل البلدتين ومصلحتنا في الوقت نفسه. اذ اخذ الشيوخ هناك يسيئون استعمال سلطتهم ويستغلون موقفهم، وفي الوقت نفسه ثبت لدينا وجود حركة تجارية نشيطة مع العدو في المواد التي يتجهز بها وذلك على حدود العراق وفي سوريا، وعليه رأينا اننا اذا ما أردنا تجنب أية اضطرابات جديدة هناك فما علينا إلا ان نوسع سيطرتنا على تلك المنطقة، فعينا للبلدتين حاكمين سياسيين وارسلنا احدهما الى كربلاء والآخر الى الكوفة في منطقة الشامية التي تقع عند حدودها مدينة النجف.

مشاكل الادارة في المدن المقدسة

وكان على الحاكمين السياسيين المذكورين ان يعتمدا في تسيير دفة جميع اعمالهما الادارية على قوة آرائهما الشخصية ومدى تحكيمهما لعقليتهما فيها، لذلك فكثيراً ما جوبها بمواقف صعبة جداً غير انهما كانا يخرجان منها دون تعرضهما لأي خطر على حياتهما، والحق يقال انه لم يحدث لنا في كربلاء أية مشكلة من المشاكل الخطيرة غير ان النجف تلك المدينة التي كانت ادارتها في قبضة زمرة من الشيوخ المحليين الذين لم يرضوا الانقياد للنظم والقوانين بقيت شوكة لمدة من الزمن في جسم ادارتنا.

ومن حسن الحظ انه لما كانت الحاجة لتجهيز السكان بالأغذية لا تقل عن حاجة الجيش اليها الأمر الذي جعل أهمية حوض الفرات تزداد بصورة مطردة، كانت التشديدات العسكرية قد أخذت تخف اذ كان الخطر من

أية محاولة من جانب العدو للزحف على بغداد قد أخذ يزول ويسمح لنا باستخدام جيوشنا في جهة اخرى لاكمال فتح البقاع التي كانت وراء خطوطنا الحربية. وعليه قمت حينذاك بجولة تفتيشية في انحاء تلك المنطقة وذلك في شهر كانون الأول من سنة ١٩١٧ لكي أطلع على الضروريات التي بموجبها أتمكن من تعيين الجهات المختلفة التي كان من الملائم للقيادة العامة توجيه الجيوش اليها .

مقتل الكابتن مارشال الحاكم السياسي في النجف

ان اقدامنا مرغمين على ذلك كان بالطبع غير مرغوب فيه ، والحقيقة ان قيامنا بوضع جيوش في الاماكن المقدسة نفسها كان مناقضاً لتصريحاتنا السابقة وهذا مما زاد الصعوبات في ايجاد سيطرة تامة لنا في مدينة النجف ، وقد ثبت لدينا من المستندات التي عثرت عليها جيوشنا بين اوراق العدو في بلدتي الرمادي وهيت ان الدعاية التركية الالمانية الشديدة كانت تهيج العناصر المتمردة في المدينة آنئذ ضدنا فأدى ذلك مع الأسف بمجرى الامور فيها الى مقتل حاكمها السياسي الكابتن مارشال ذلك الشاب القدير الذي كان يرجى كل الخير من اشغاله لذلك المنصب الاداري في النجف بعدما كان قد قام بمثله قبل ذلك في بلدة الكاظمين المقدسة وأدى خدمات قيمة فيها واكتسب خبرة خاصة في ادارة شؤون المدن الدينية . ولما وقعت كارثة مقتله كنت في طريق سفري الى القاهرة لحضور مؤتمر يختص بشؤون البلاد العربية فبفضل ما قام به كل من القائد العام للجيش البريطاني ووكيلي الكولونيل نوكس من اجراءات حازمة نال المسؤولون عن وقوع الكارثة عقوبات صارمة اذ حكم على اثني عشر منهم بالاعدام وعلى خمسة آخرون بالسجن المؤبد واثنان

بالسجن لمدة اقل من ذلك .

مؤتمر بريطاني للنظر في قضايا العرب في القاهرة

اما في القاهرة فوجدت في دار المندوب السامي البريطاني السر ريجنالد وينكيت الذي كان قد أمن للمجتمعين من جهة كل أسباب الراحة والضيافة ولأعمال المؤتمر جميع أسباب التوجيه الحكيمة ، جمعاً من القادة الممتازين والمتفرغين آنئذ للعمل في القضايا العربية ومن بينهم دافيد هوكارث الذي كان يعرف قبلا بالعالم الرحالة في بلدان شرقي البحر الأبيض المتوسط [The Levant] وكان وقت انعقاد المؤتمر هذا برتبة قائد عسكري بحري احتياطي في الاميرالية البريطانية ويشتغل في ادارة قسم الشؤون العربية فيها ، ثم رونالد ستورس مستشار الشؤون الشرقية في السفارة البريطانية وهو الذي كان يلقبه المغفور له الملك حسين في رسائله بـ« ستورس الكامل » وجلبرت كلايتون مدير الاستعلامات في القاهرة والذي أرسل بعدئذ اي سنة ١٩٢٧ بمهمة رسمية خطيرة الى جلالة الملك ابن سعود ، وجورج لويد الذي يشغل الآن وقت كتابة هذه السطور منصب المندوب السامي البريطاني في مصر واخيراً المستر لورانس الذي اشتهر بعد ذلك باعماله الباهرة في الجيش العربي . و بعدها ازداد شهرة بكتابه الخالد الذي وضعه بعنوان « الثورة في الصحراء العربية » TheRevolt in the Desert وفي الحقيقة كان يجمع ذلك المؤتمر بين أبرز الشخصيات البريطانية اللامعة .

***

أثر العلاقات الشخصية في الامور السياسية

التنافر بين الملك حسين وابن سعود

اما مداولاتنا فى المؤتمر فقد كانت قبل كل شيء فى القضايا التي تهمنا نحن المشتغلين فى سياسة العراق وأولئك الذين كانوا يشتغلون بقضايا الحجاز ، وقد انشغلت كثيراً بتلك القضية الصعبة التي جابهها الطرفان آنئذ وهي الكراهيـة الشخصية الشديدة التي كانت مستحكمة بين حليفينا العربيين جلالة الملك حسين وسلطان نجد وقد كان من الصعب علينا تقدير الفرق فى الفائدة من تعاون كليهما معنا متحدين او منفصلين .

وفد بريطاني الى العاهلين العربيين

وعليه فاني أذكر اننا أرسلنا اليها وفداً قوامه من المستر فيلبي نيابة عني ومن الكولونيل ويلسون المندوب السياسي البريطاني فى الكويت وذلك للبحث فى قضـايا الكويت ثم من الكولونيل كانليف أوين بالنيابة عن السلطات العسكرية فى بغداد فتوجه هؤلاء الى الرياض عاصمة السلطان ابن سعود ليعرضوا عليه الوضع العام فى أواسط الجزيرة العربية ثم فى الوقت نفسه ليعرضوا بصورة خاصة فيما اذا كانت الظروف تساعد على القيام بحملة جديدة على حائل حيث كان أميرها ابن رشيد لا يزال يروج مصالح الاتراك ويجعل من نفسه شخصاً يصعب التفاهم معه . وقبل ان أترك القاهرة بمدة وجيزة وصل المؤتمر تقرير الوفد عن نتيجة مباحثات أعضائه مع العاهلين العربيين.

كوكس ينقل الى طهران

وبينما كنت في القاهرة استلمت أمراً من السلطات البريطانيـة العليا

يستدعوني فيه الى لندن للتداول معهم في القضايا المختلفة التي كانت تجري في العراق آنذاك ثم استلمت بعده وأنا في طريق عودتي الى بغداد أمراً بوجوب سفري قبل ذلك الى سملا وان اتصل هناك شخصياً برجال حكومة الهند . فسافرت في الحال ، ولدى وصولي الى سملا علمت بأن السر تشارلس مارلينج السفير البريطاني في طهران الذي كان قد قضى اشهراً عديدة في قضايا مزعجة جداً في محاولته مكافحة جهود الدعاية التركية الالمانية في بلاد فارس والقضاء على التأثير الفعال الذي كان يمارسه عملاؤها في شؤون الحكومة الفارسية قد منح اجازة مرضية واستدعي للعودة الى لندن وانه كان من المقرر ان اشغل محله ، فقدمت طلباً بتفضيلي البقاء في العراق نظراً لاني كنت قد قضيت المدة التي مضت علي منذ ابتداء الحرب العالمية الى حينه بصحبة الجيش البريطاني في العراق ورغبتي أن أراه ينهي حملته باحتلال جميع انحاء العراق في عهد وجودي بمنصبي فيه، غير انه لما كانت الجيوش البريطانية واقفة عند خط بغداد ـ عين زلي وكانت تنشأ بين حين وآخر دون انقطاع مشاكل عسكرية تتطلب التداول فيها بين المندوب السامي والقيادة العسكرية العامة في العراق فقد كان من المهم جداً أن يوجد في ادارة السفارة البريطانية ضابط ذو خبرة بحوادث وأمور تلك الحرب في كل من العراق وبلاد الفرس وعليه فاني شعرت بانه ليس من حقي التشديد في عرض اعتراضاتي على نقلي وتركت سملا متوجهاً الى بغداد لكي أسافر منها الى طهران . وبعد ان بقيت في بغداد مدة تمكنت فيها من تدبير السيارات لنقلي وزوجتي واثاثي وحراستنا في طريق سفرنا توجهت حالاً الى طهران وكان قد صادف سفرنا اليها في وقت كان دخول بلاد الفرس في الحرب ضدنا على وشك الوقوع اذ كانت الفكرة

المنتشرة بين الفرسان ان ظواهر الحرب تدل على ان الدول الوسطى أي تركيا والمانيا وحلفائهما سترح الحرب ، فكان من المستحسن ان تدخل دولة الفرس الحرب معها كي تكون من بين الدول المنتصرة في نهايته، واني لدى وصولي همدان تسلمت برقية تشير إلي بالبقاء فيها وان سفري الى طهران كان متأخراً واصبح لا فائدة منه، ولكني لم أعبأ بذلك واستمريت في سفري حتى وصلت اليها واشغلت محل السر تشارلس مارلينج وذلك في الخامس عشر من شهر أيلول من سنة ١٩١٨ وهو بدوره عاد بنفس القافلة من السيارات في اليوم التالي .

احتلال الجيش العربي والبريطاني لبلاد سوريا وفلسطين

ففي خلال العشرين شهراً التي قضيتها في منصب سفير بريطاني في طهران كان سير الحوادث فيها يتمشى جنباً الى جنب مع الحوادث الجارية في العراق . والحقيقة انني عند سفري من بغداد كان كل من الجنرال اللنبي والجنرال مارشال على وشك البدء بحملتي الخريف العسكريتين ، اذ ان جيوش اللنبي كانت قد تجمعت في السهل الساحلي من فلسطين وباشرت باعمالها الحربية الباهرة في اليوم التاسع عشر من شهر ايلول ١٩١٨ والتي انتهت في تدمير الجيش التركي في سوريا واحتلال دمشق وحلب وفي اليوم الاول من تشرين الاول من السنة نفسها دخل الجيش العربي وجيشنا الصحراوي الى مدينة دمشق في وسط مشاهد حماسية عظيمة من قبل أهالي المدينة .

احتلال الجيش البريطاني للموصل وجهات شمالي العراق

اما في العراق فلقد كان الجنرال السر وليام مارشال قد باشر بحملته

العسكرية في اليـوم الثالث والعشرين من تشرين الاول من السنة نفسها ايضا وقد عزم على الجمع بين هجومين على مواقع الجيش التركي لقسمين من جيشه الواحد منها متجهاً من بغداد لمهاجمة مواقع العدو عند مضيق الفتحة عبر نهر دجلة ، والآخر يتقدم في الوقت نفسه من جهة كفري نحو الفتحة ايضا لتهديد طرق مواصلات العدو وانتهت خطته الحربية هذه بنجاح باهر اذ في الثلاثين من تشرين الاول سلم القسم الاعظم من الجيش التركي اليـه وبقي يلاحق بجيشه القسم المتبقي من جيش الاتراك حتى وصل به الى مسافة ١٢ ميلا من مدينة الموصل حين وصل الى القيادة العامة خبر انعقاد الهدنة بين الدول المتحاربة وبعد ذلك بيومين دخلت جيوشنا الموصل واحتلتها .

تشكيل الأدارة المدنية في العراق

لما كان معظم رجال الحكم التركي في البلاد أجانب عنها وانسحبوا منهـا بصحبة الجيوش التركية المتقهقرة كما ذكرناه آنفـا ، اضطررنا ان نستعيض عنهم برجال من الجهات التي كانت متيسرة لدينا اثناء الحرب وذلك لـكي نشكل ماكنة ادارية مدنية حسب تصريحاتنا لأهل البلاد ، فأخذنا نستعير الرجـال البريطانيين او الهنود ـ البريطانيين (Anglo - Indian) وذلك إما من دوائر الجيش البريطاني في العراق او من حكومة الهند ، اذ لم يكن مفر من قيامي بذلك أنا او الذين أعقبوني في منصبي بعد سفري الى طهران .

العرب يطالبون بتحقيق اهدافهم الوطنية

لقد كانت بعض الجهات من اهالي البلاد تميل الى مطالبتنا بتحقيق ماجاء في التصريح الذي كان قد أذاعه الجنرال السر ستانلي مود على السكان عند

دخولنا الى بغداد وذلك بموجب التعليمات التي كان قد تلقاها بوقته من الحكومة البريطانية ، فبناء على ذلك واستناداً الى التصريح الانكليزي - الفرنسي الذي أذاعه بعده خلفه السر وليام مارشال في تشرين الثاني من سنة ١٩١٨ والذي كان قد أشار فيه الى رغبة بريطانيا وحلفائها في تأمين رغائب الشعوب العربية الشريفة وتأسيس حكومة وطنية في العراق فلقد كان لا بد من القيام بعد اعلان الهدنة باجراءات سريعة لجعل الادارة في البلاد ذات صبغة وطنية . وعليه فان مطالبة الشعب لنا بتحقيق أمانيه كان مستصوب نظريا ولو جاء البت في شروط الصلح مع تركية ملازما للهدنة لكان بامكاننا استجابة هذا الطلب في الحال واجراؤه عمليا ، غير ان سير الأمور كان مخالفاً جداً لذلك إذ ان العمل في سبيل السلام العالمي كان يسير سيراً بطيئاً جداً ومضت ستة أشهر بعد الهدنة ولم تكن الشروط التي كانت ستفرض على تركية قد وضعت بعد موضع البحث وعليه لم يصدر بوقته اي تصريح دولي رسمي بوضع العراق تحت الانتداب البريطاني حتى شهر ايار من سنة ١٩٢٠ وذلك بعد الانتهاء من مؤتمر سان ريمو وبقي هذا التصريح غير معمول به حتى أيدته معاهدة سيفر في شهر آب من تلك السنة ، غير ان الحكومة البريطانية نفسها لم تكن بوقته مستعدة مطلقاً للمصادقة عليه .

بريطانيا تستبدل حكمها العسكري بحكم مدني في العراق

وفي تلك الأثناء كان الشرق ومن بين أقطاره ليس العراق فقط بل وجميع أقطار العالم الاسلامي يتشرب بالروحية التي أوجدتها النقاط الاربع عشرة للرئيس ويلسون ومن بينها تلك النقطة القوية التي تعطي لكل شعب حق

تقرير مصيره ونوع الحكم الذي يرغب فيه ، وكان ذلك يحدث في وقت كان فيه وضعنا العسكري يتضاءل بسرعة فى منطقة احتلالنا وذلك لانسحاب جيوشنا من العراق وانقاص عدد جنودنا فيه الى أدنى حد ممكن ، فأصبحت بذلك البقعة الشاسعة الممتدة من الموصل الى خليج البصرة تحت حكمنا المدني وعليه ففي وضع غير مستقر كهذا كان القيام باجراء اي تبدل جوهري في شكل الحكم المدني لا يدل فقط على ضعف في مقدرتنا الادارية لكنه فى الوقت نفسه لم يكن ليخلو من خطر ، واني أسجل هنا هذا المظهر من القضية العراقية بكل صراحة لأوكد بان الاضطرابات التي نشأت بعد ذلك لم تكن إلا ظاهرة من مظاهر الاستعداد الذي كان عند البعض للتصيد بالماء العكر والخلط بين العوامل الطارئة للاضطرابات التي تحدث غالبا عندما لا يكون سير الامور فى البلاد على أساس خطة ثابتة معينة وبين أسبابها الأساسية .

إذ عند انتهاء الحرب العالمية كان أهل العراق قد رضوا باحتلالنا لبلادهم واستسلموا الى قبول حكم بريطاني اداري ثابت فيه ، وكان قسم منهم وأخصهم أهالي مدينة البصرة والمنطقة المجاورة لها ينظرون بفضل وجود الحكم البريطاني فى العراق الى مستقبل مليء بالرخاء والاستقرار يتمكنون فيه من القيام بمزاولة أعمالهم التجارية والزراعية وغيرها تحت ادارة حكومة مركزية قوية تؤمن لهم السلام والاستقرار . وكانت هناك عقيدة شاملة كثيراً ما كان يصرح بها العراقيون أنفسهم فى جميع انحاء المملكة بان « العرب يرغبون في حكم الانكليز لبلادهم » وكان يرافق هذا الشعور آنئذ تقديرهم بكل صراحة للرخاء الذي كان يزداد باطراد فى البلاد من جهة بفضل وجود الجيوش البريطانية فيها ومن جهة اخرى لأملهم بمستقبل زاه باسباب السعادة

والرخاء الدائمين في البلاد التي كنا نسير بها في طريق التقدم والاصلاح .

الشعب العراقي يطالب بتأسيس حكومة وطنية

غير ان الهدنة والتصريح البريطاني - الفرنسي الذي أعقبها مباشرة كان لهما مفعولهما في تبدل تلك العقيدة عند افراد الشعب العراقي . ففي بغداد كانت الاطماح السياسية تتطور بسرعة اكثر من أية جهة اخرى في العراق ، اذ بعد صدور ذلك التصريح باسبوع واحد فقط اخذت فكرة ايجاد أمير عربي يحكم العراق مدار البحث في جميع المجالس الاهلية ولاقت تأييداً شاملا في اوساط المجالس الدينية الاسلامية ، ولو انه لم يكن هناك اتفاق اجماعي في الامير المرغوب فيه ، اذ كان الرأي العام في مبدأ الأمر يدور حول استقدام احد أبناء الحسين شريف مكة الذي اصبح بعد ذلك ملكاً على الحجاز او احد افراد العائلة المالكة في مصر او تنصيب أحد كبار وجوه الموصل ، وقد كان سماحة نقيب بغداد من المرشحين ايضاً بينما كانت بعض الجهات في العراق تفضل اقامة حكم جمهوري في البلاد، غير ان المجالس الاسلامية لم ترغب في النوع الاخير من الحكم ، بينما من الجهة الاخرى لم يظهر نقيب بغداد أية رغبة في ترك منصبه الديني الرفيع والاستعاضة عنه بمنصب مدني .

الحكومة البريطانية تجري استفتاء عاما في البلاد

وفي تلك الاثناء كان الكولونيل ويلسون وكيل المندوب السامي في العراق قد تلقى أمراً من حكومة صاحب الجلالة البريطانية بان يحاول اجراء استفتاء عام للرأي العراقي في النقاط الآتية :

١ـ هل يرغب الشعب العراقي في تكوين حكومة عربية واحدة تحت الارشاد البريطاني تمتد من الحدود الشمالية لولاية الموصل الى خليج البصرة؟

٢ـ اذا كان الشعب يرغب في ذلك هل يرتئي ان يترأس الحكومة الجديدة أمير عربي؟

٣ـ واذا كان الامر كذلك فأي شخص يرشحه الشعب لعرش المملكة؟

وكانت نتيجة ذلك الاستفتاء ان جميع افراد الشعب العراقي أجمعوا في الاتفاق على النقطة الاولى، غير ان آراءهم في النقطتين الاخيرتين كانت مختلفة الى درجة لم يتضح فيها للحكومة البريطانية حقيقة الشعور العام في ذلك، وعليه بقي انجاز هذا الامر مطروحا وكان ذلك في شتاء سنة ١٩١٨ ـ ١٩١٩.

وفي السنة التي تلت ذلك أحدثنا تحسناً ملموساً في وضع الادارة المدنية في البلاد بادخالنا موظفين وطنيين في المناصب الحكومية الادارية الكبيرة، غير ان تصرفاتهم لم تكن دائما مرضية.

الأمير فيصل والمملكة السورية العربية

وفي تلك الاثناء كانت الشكوك في حقيقة سياسة ونوايا الحكومة البريطانية تجاه العراق ومصالحه الوطنية لاتزال تنتشر بين افراد الشعب العراقي وزاد الوضع تعقداً الحوادث التي كانت تجري آنذاك في سوريا، اذ حالما دخلت جيوش الجنرال اللنبي اليها في تشرين الاول من سنة ١٩١٨ تشكلت فيها بمساعدة عدد من المستشارين البريطانيين حكومة عربية ترأسها الأمير فيصل بن الحسين وذلك في البقعة التي تمتد بين حلب ودمشق، وكانت تلك

الحكومة مستقلة استقلالا اداريا تاما غير انها كانت خاضعة للقيادة العليا للجيوش البريطانية التي كانت تحمي كيانها هناك .

الاتحاد السوري ـ العراقي فكرة عراقية

وكان معظم كبار ضباط جيش الأمير فيصل فى الحملة العسكرية المذكورة من العراقيين واكثرهم من اهالي مدينة بغداد ، وكان يصرح هؤلاء الضباط برغبتهم فى تكوين مملكة عربية واحدة تجمع بين سوريا والعراق ويحكمها أمير عربي . وعليه فعندما توج الأمير فيصل ملكا على سوريا فى شهر آذار من سنة ١٩٢٠ قابل العراقيون ذلك بالمناداة بأخيه الأمير عبدالله ملكا على العراق ، غير انه ما ان جرى ذلك إلا وأذيع فى الخامس من شهر ايار من السنة نفسها دخول العراق تحت الانتداب البريطاني ، فأدى ذلك بالطبع الى الكثير من الاستغراب والتقول .

كوكس يستدعى الى لندن

وفي تلك الاثناء كنت متفرغا لواجباتي الكثيرة العائدة لمنطقتي بصفتي آنذاك وكيلا للسفير البريطانى فى ايران فلم أتمكن من ان أطلع تماما على سير الأمور في العراق ، واذا بي في صبيحة احد تلك الايام أتسلم في طهران بكل دهشة برقية من وزارة الخارجية البريطانية تبلغني بها قرارها بوجوب عودتي الى منصبي في العراق على أن أتوجه قبل ذلك الى لندن بعد ان أجري دور التسليم للذي سيعقبني في السفارة البريطانية فى طهران ، غير اني وجدت هذا النقل ليس فى محله بالنسبة الى ذلك الموقف الحاسم الذي كانت فيه مصالحنا فى ايران آنئذ ، غير أن هناك حدود معينة كانت تسمح لي

بعرض وجهة نظري هذه دون افساح المجال لسوء تفسيرها ، فعرضت ذلك حسب الاصول المتبعة ثم اذعنت لقرار حكومة صاحب الجلالة البريطانية بنقلي نهائياً الى بغداد ، فأخذت استعد لسفر مبكر اليها ، ولما وصل خلفي في الوقت المعين سافرت أنا وزوجتي في اليوم العاشر من شهر حزيران من تلك السنة متوجهين الى بغداد، وبعد اربعة ايام وصلناها ومكثنا فيها يومين في دار وكيل المندوب السامي الكولونيل ويلسون ريثما تمت الترتيبات اللازمة لاستئناف سفرنا الى لندن ، وفي خلال هذين اليومين تمكنت ان أفهم منه ومن المس جرترود بيل آخر التطورات التي طرأت على الموقف في العراق .

الشعب العراقي يرفض الانتداب

وكان قبل سفري من بغداد الى لندن بايام قلائل اي في اليوم الثاني عشر من شهر حزيران قد قابل الكولونيل ويلسون وفد مؤلف من ١٥ شخصاً من اهالي بغداد كانوا اعضاء من جمعية وطنية كانت قد تشكلت في البلاد آنذاك خصيصاً لمقاومة الانتداب وطلبوا منه عرض آرائهم بهذا الشأن على الحكومة البريطانية ، فبعد ان سمع منهم ما أرادوا عرضه رفع تلك المطاليب الى الحكومة البريطانية وطلب منها الاسراع في وضع صيغة نهائية لسياستها في العراق كما انه في الوقت نفسه اقترح على السلطات البريطانية غض النظر عن فكرة تشكيل حكومة موقتة والاستعاضة عنها سرعان ما ينتهي البت في بنود الانتداب باستدعاء مجلس وطني ليقرر شكل الحكومة التي يرغب بها الشعب العراقي .

وعليه اشتركت مع الكولونيل ويلسون والمس بيل في تنظيم مسودة

تصريح اشغلت نفسي في وضع بنوده قبل سفري من بغداد بعدة وجيزة ، وبعد ان وافقت حكومة صاحب الجلالة البريطانية عليه بايام قلائل ارسلناه في اليوم العشرين من شهر حزيران الى ابرز اعضاء ذلك الوفد ، وكان ينص ذلك التصريح على « ان يكون العراق دولة مستقلة تحت رعاية عصبة الامم وخاضعاً للانتداب البريطاني وانه لدى عودة السر برسي كوكس من لندن في الخريف من تلك السنة ستتشكل في العراق حكومة عربية موقتة ريثما يتم اعداد قانون اساسي ثابت لها تراعى فيه حقوق ورغائب ومصالح جميع افراد الشعب العراقي على اختلاف طوائفه وطبقاته » .

نشوب الثورة العراقية

ثورة الرميثة

غير أنه رغم اصدارنا لهذا التصريح فلقد كان اشتعال فتيل الاشقياء من الوضع قد وصل مع الأسف الى حده وأصبح الهياج شديداً الى درجة لم يكن بالامكان منع انفجاره . إذ في اليوم الثاني من شهر تموز ثارت عشائر منطقة الفرات الأسفل عند بلدة الرميثة وما ان مر على وصولي الى لندن بضعة أيام إلا ووجدت الشعب البريطاني قد اضطرب كثيراً من الوضع الذي وصلت اليه الأمور في العراق فأدى ذلك الى وجود حركة هياج شديدة بين طبقة من رجال الصحافة الذين أخذوا يطالبون الحكومة البريطانية بوجوب الجلاء عن العراق وإيقاف المصاريف والخسائر التي كان يتكبدها الشعب البريطاني فيه . وكانت الحكومة البريطانية نفسها أيضاً قد عيل صبرها من البرقيات المزعجة التي كانت ترد اليها بين آن وآخر من بغداد واختلفت الآراء

فى أسلم خطة يجب اتباعها لتدارك الوضع غير انه رغم ذلك فقد كان الرأي في بريطانيا قد أجمع على وجوب قمع الثورة قبل القيام بأي عمل لتلافي الموقف ، والقضية التي أصبحت موضع التداول فى الاوساط المختلفة هناك هي فيما إذا كان الامر يدعو بعد عودة الاستقرار في العراق الى نصابه أن تتخلى بريطانيا عن الانتداب فيه وتخلي البلاد وتتخلص من الخسائر التي كانت تتكبدها فيه أو اننا نؤسس حكومة وطنية فيه بعد ذلك حالا فيما إذا كان سيكتب لنا النجاح فى ذلك

ولما طلب رأيي فى الامر بصفتي الرئيس الاداري الاعلى فى العراق أجبت بعدم معقولية جلائنا عن العراق ، إذ أن ذلك لا يؤدي فقط الى تخلينا عن الانتداب عليه وخسارتنا لسبعة أو ثمانية ملايين من الباونات المستخدمة كرؤوس أموال بريطانية فيه ، إنما يعد في الوقت نفسه خرقا كبيراً لجميع التعهدات التي كنا قد قطعناها على أنفسنا للعرب أثناء الحرب العالمية وإفساح المجال لوقوعهم من جديد بعد جلائنا عن بلادهم في وهدة الفوضى ونير الحكم التركي الذي كانوا يكرهونه ، وأخيراً فان الجلاء الذي يثير الكراهية الفعلية ضدنا من قبل السكان الذين سيعتبروا ذلك غدراً بهم لا يؤمن إنهاؤه إرسال فرقة عسكرية أخرى الى العراق آنئذ دون وقوع حوادث دموية بين الطرفين .

ولما سئلت عما إذا كانت الاستعاضة عن سياسة الجلاء بتأسيس حكومة وطنية في العراق حالا قد يكون له نصيب من النجاح كان جوابي على ذلك بالايجاب رغم اني لم أكن مطمئناً تمام الاطمئنان من ذلك . وبينت بان الامر يستحق المجازفة فيه اذا ما اعتبرناه الحل الوحيد الذي نعوض به عن إخلاء البلاد ، وبعد مناقشات طويلة مع السلطات البريطانية

هناك بهذا الخصوص سئلت عما اذا كنت مستعداً لتعهد القيام بهذا الواجب اذا ما قرر العمل به نهائياً فأجبتهم بالايجاب وسافرت بعد ذلك مباشرة متوجهاً الى بغداد ومعي التعليمات الوافية بهذا الشأن .

وكان سروري عظيما جداً لدى سماعي بعد ذلك بست سنوات بان السفينة التى كنت قد أنزلتها فى ذلك البحر المائج قد وصلت ميناءها سالمة وأن المجازفة التى قمنا بها أحرزت نجاحا باهراً بالنسبة لنا ، وأن مملكة العراق قد استقامت وثبت كيانها ووضعت حدودها ولم يبق إلا على العراقيين أنفسهم العمل على نجاحها ورخائها .

على كل فاني لا أتذكر أية قضية اخرى أنجزت فيها حكومة صاحب الجلالة البريطانية وعودها وتعهداتها بكاملها واتبعت فيها سياسة ثابتة بكل إيمان وعزيمة دون أن يثبط عزمها استمرار الحملات الصحفية المريرة ولا التأجيلات غير المتناهية والصعوبات التى امتازت بها مفاوضات الصلح بيننا وبين تركيا .

الثورة العراقية فى بغداد

وبينما كانت هذه المفاوضات تجري في لندن كانت عناصر الثورة فى ولاية بغداد تجمع قواها فكان لا بد من جلب الامدادات العسكريه لنا من الهند لاقماعها بحيث انه لدى وصولي البصرة فى الاول من شهر تشرين الاول من سنة ١٩٢٠ ولو اني وجدت ان آثار النفور ضدنا لم يزل باق في بعض الجهات غير ان المراكز الرئيسية للحركة كانت قد أصبحت تحت سيطرتنا ولم يكن الوضع العام بشكل يدعو الى القلق .

. . .

كوكس يباشر أعماله من جديد في بغداد

وصلت الى بغداد فى الخامس من تشرين الاول وبعد ذلك بيوم او ما يقارب ذلك استلمت العمل فى منصبي الجديد من السر آرنولد ويلسون الذي سافر الى لندن آنذاك باجازة فوجدت ان الواجب الذي كان ينتظرني لم يكن سهلا او مرغوبا فيه ، وعليه فان أول خطوة قمت بها فى تطبيق سياستنا الجديدة التي عدت لأجلها فى العراق كانت اجرائي تحوير كبير ضروري سريع في شكل الادارة المدنية فيه وتبديل صبغتها البريطانية الى صبغة عربية وذلك بانقاص كبير أجريته فى عدد الموظفين المدنيين من البريطانيين والهنود البريطانيين وكان الكثير منهم من الذين قد خدموا في العراق بمنتهى الاخلاص وفى أصعب المواقف فى البلاد ففضل البعض منهم بعد فصلهم هذا من مناصبهم البقاء فى العراق وعدم العودة الى وظائفهم التي كانوا يشغلونها قبل الحرب في الهند وذلك رغبة منهم في الاشتغال فى المهن الحرة في هذه البلاد أضف الى ذلك ان عدداً غير قليل من الجالية البريطانية كانوا مرتابين ـ ولا عتاب عليهم في ذلك ـ في أمر نجاحنا في هذا المشروع الجديد ولم يخفوا شكوكهم عنا فى ذلك . غير اني ثقة مني في عقيدتي بانه لا بد لهذا المشروع من نصيب من النجاح ثم نظرا لعدم تمكن الحكومة البريطانية من ايجاد أي حل غيره نستعيض به عن عملية الجلاء ، وطدت العزم على تنفيذه . وقد كان موقفى عند البدء بالعمل فيه فريدا جدا في بابه غير ان الذي كان لي عونا كبيراً فى تلك الآونة وجود المس جرترود بيل بصحبتي وكذلك وجود المستر فيلبي والمستر كاربيت ـ وكلاهما من موظفي حكومة

الهند - واللذين كنت قد استصحبتهما معي لدى عودتي من لندن .

أما المس بيل فانها كانت قد قضت سنتي مدة تغيبي عن العراق في طهران في الخدمة بمعية السر آرنولد ويلسون فى بغداد - وذلك باستثناء فترة تغيب قصيرة قضتها بالاجازة في انكلترة ثم فى باريس في صيف ١٩١٩ - فصار لها المام تام بالوضع السياسي لجميع طبقات وشخصيات الشعب العراقي ، ولما كنت أعلم ان آراءها الشخصية فيما يخص مطاليب العرب يضاف الى ذلك آراء الموظفين المدنيين الآنف الذكر فى هذه القضية كانت تشجعني على اشراكهم معي في العمل فيها بدرجة جعلتني أثق انه كيفما كانت تلك الآراء فانها تنطبق فى جوهرها مع السياسة الجديدة للحكومة البريطانية ، غير اني بعد مرور سنة على اشتغالنا فى القضية سوية وكنا قد وصلنا بها الى مرحلة لا بأس بها وجدت من الضروري قطع علاقة المستر فلبي من العمل معي اذ أخذت آراؤه آنذاك تنحرف عن سياسة حكومة صاحب الجلالة البريطانية فى العراق مع العلم اني اعترف له بخدماته الثمينة جداً وتعاونه الكلي معي عند بدء العمل في هذا المشروع . أما بخصوص بقية الاشخاص الذين اشتركوا معي كذلك في العمل ثم اختلفوا فى الرأي معي بعد ذلك ايضاً عند تلك المرحلة ، فقد كان اغلبهم غرباء عني فكنت احتاج الى وقت اكثر لكي أبت فى أمرهم . على كل فمها كان قد حصل عند زملائي من تبدل في شعورهم الاساسي تجاه هذا المشروع - وكان لا بد من حصول ذلك في الحقيقة - فان الكثير منهم اقتنعوا اخيراً بمعقولية القيام بهذه التجربة التى قد لا يستبعد نجاحها طالما كانت هي المحاولة الوحيدة التى تعوض لنا عن سياسة الجلاء عن البلاد، وبالرغم من بقاء أمر مصير خدمتهم بمعيتي معلقا

في الميزان مدة طويلة اي حتى انتهاء عقد الصلح مع تركيا فأنهم قاموا بواجباتهم احسن قيام .

ثم ولو ان قوة الثورة كانت قد كسرت عملياً كما ذكرت آنفاً لدى وصولي مدينة البصرة فان عدداً غير قليل من العشائر في ولاية بغداد كانوا لا يزالون في حالة الثورة ولم ينته اقماع الثورة بصورة فعلية نهائية تماما حتى شهر شباط من تلك السنة . وعليه فما ان مر على وصولي بغداد مدة قصيرة إلا واخذت ألاحظ باني صرت أجابه في كل دور من تطورات الموقف السياسي أموراً سياسية ذات مفعول جوهري في مستقبل العراق ولم أر من العدل ان أبت بأمرها قبل التداول بها مع ممثلي الشعب العراقي وعليه فتلافياً للموقف وطدت العزم على تكوين حكومة وطنية موقتة في الحال تكون خاضعة لاوامري ومراقبتي ومسؤولة عن الادارة والتوجيه السياسي في البلاد حتى يعود الوضع العام فيها الى مجراه الطبيعي حين يصبح في الامكان تكوين الانظمة والمؤسسات الوطنية لها . فكانت هذه المناسبة التي شعرت فيها بالحاجة الى تعاون صديقي المحترم السيد عبد الرحمن النقيب الذي كان قد تعاون معي كثيراً عند أول احتلالنا لبغداد وانه بامكانه في تلك الآونة فيما اذا رغب بذلك ان يؤدي لبلاده خدمة وطنية عظيمة وعليه قررت ان أكلفه بان يترأس مجلس الدولة الذي كنت أفكر بتشكيله .

النقيب يترأس الحكومة الموقتة

ان شيخوخة وتضعضع صحة سماحة النقيب كانا عذرين مقبولين يمنعانه من الخروج من حياة العزلة والتصوف التي كان يفضل قضاء ما كان قد تبقى من عمره

فيها . غير اني لما التمست منه القيام بذلك في اليوم الثالث والعشرين من تشرين الاول سنة ١٩٢٠ رأى ان مصلحة بلاده تقضي عليه الاستفادة من هذه الفرصة ، فأخذ على عاتقه القيام بهذا الواجب الوطني بكل جرأة واقدام ودون أي تردد ، وشكل وزارة تكون منها حكومة وطنية موقتة في البلاد فساعد مركزه الديني والاجتماعي السامي والاحترام الشامل الذي كان يتمتع به عند جميع طبقات الشعب على احترام الغاية من قيامه بهذا العمل وأعطى الحكومة التي شكلها ما كانت تحتاجه آنذاك من قيمة فى نظر الجمهور العراقى واني لأرتعش لدى تصوري ما كان سيؤول اليه أمر جهودي الاولى فى المشروع لو كان سماحته قد رد طلبي فى هذا الموقف الحرج وخيب آمالي، فقيامه بهذا الواجب الوطني الكبير رغم شيخوخته يعتبر اعظم واجب وطني قام به لا يسعني إلا ان أسجله له هنا مع أطيب الذكر والشكر .

وكانت هيئة الوزارة التى شكلها سماحته برئاسته تتكون من ثماني مناصب وزارية وكانت اول وزارة فى العراق وهي كما يلي :

سماحة السيد عبد الرحمن النقيب الكيلاني رئيساً للوزارة

١ـ السيد طالب باشا النقيب (اكبر ابناء نقيب البصرة) وزيراً للداخلية

٢ـ ساسون حسقيل (ممثل الطائفة الاسرائيلية ببغداد) » للمالية

٣ـ السيد مصطفى الآلوسي » للعدلية

٤ـ الجنرال جعفر العسكري (وكان قد أدى خدمات ممتازة اثناء الحرب العالمية الاولى وبعدها بصحبة الملك فيصل في سوريا) » للدفاع

٥ـ السيد عزة الكركوكي » للاشغال العامة

٦ـ السيد مهدي الطباطبائي » للمعارف والصحة العامة

٧ـ السيد عبد اللطيف باشا المنديل (وهو من اهالي نجد ومن اكبر وجوه وتجار البصرة) » للتجارة

٨ـ السيد محمد علي فاضل » للاوقاف

ان القضايا الرئيسية التي كان على مجلس الوزراء البت فيها كانت (اولا): النظر في عودة عدد من زعماء الثورة العراقية من منفاهم في جزيرة هنجام . (وثانيا) : استدعاء الضباط العراقيين الذين كانوا فى الخدمة في جيش الحجاز او الذين كانوا قد خدموا في حكومة سوريا العربية ثم بقوا مشردين بعد سقوطها وذلك على حساب حكومة العراق . (وثالثا) تأسيس دوائر مدنية حكومية يديرها موظفون عراقيون . (ورابعاً) وضع قانون للانتخابات النيابية فى البلاد . (وخامسا) تشكيل جيش عراقى .

وهكذا فبفضل حكمة وادارة سماحة النقيب أنجز المجلس أعماله هذه بكفاءة مدهشة دون حدوث أي تصادم او اختلاف في الرأي بين أعضائه ، ثم أخذ يعود الى العراق بعد ذلك الكثير من ابناء العراق من ذوي الخبرة والثقافة والذين كانوا قد أشغلوا في عهد الحكم التركى مناصب مدنية وعسكرية ويشغلون المناصب التى كانت تنتظرهم فى دوائر الحكومة العراقية الجديدة ، فكان قدوم هذا العدد الكبير من سوريا من العراقيين المتحمسين لقضية الملك فيصل مما أدى الى البدء لا بل الى احياء فكرة مطالبة العراقيين بتتويجه ملكا على العراق وأصبح عند ذلك بالطبع أمر ايجاد حاكم جديد للبلاد والصيغة

التي يجب ان تكون فيها الحكومة العراقية الثابتة التي ستعقب الحكومة الوطنية الموقتة في دست الحكم حديث المجالس والمقاهي في جميع انحائها .

وبالنظر الى هذا التبدل الجديد الذي أجرته الحكومة البريطانية في سياستها في العراق ، انتقلت ادارة شؤونه من شعبة الهند في وزارة الخارجية البريطانية الى وزارة المستعمرات التي كان المستر ونستون تشرشل قد نقل في تلك الاثناء من وزارة الحرب البريطانية اليها . وعليه فلكي يطلع المستر تشرشل على جميع ما يعود الى وزارته ويفهم المظاهر المختلفة التي تختص بمستقبل الوضع في الشرق الاوسط ، عزم على عقد مؤتمر في القاهرة في اوائل شهر آذار من تلك السنة والذي كنت أحد الذين أمروا بالحضور فيه من ممثلي حكومة صاحب الجلالة البريطانية في هذه المنطقة .

وعليه فبفضل حسن سير اعمال الحكومة العراقية الموقتة تمكنت من السفر من بغداد برفقة السر ايلمرهالدين القائد العام للجيش البريطاني في العراق وذلك في نهاية شهر شباط واستصحبت معي من رجال الحكومة الموقتة الى القاهرة ساسون افندي حسقيل وزير المالية وجعفر باشا العسكري وزير الدفاع . أما الذين رافقوني من الجالية البريطانية في العراق فهم الميجر جنرال آتكنسون مستشار وزارة الاشغال العراقية ، واللفتننت كولونيل سليتر مستشاروزارةالمالية، والمس جروترود بيل سكرتيرة الشؤون الشرقية في السفارة البريطانية في بغداد، والميجر جنرال ادموند آيرونسايد قائد الجيوش البريطانية في ايران ، وقام بشؤون الوكالة عني اثناء غيابي عن بغداد السر ادكار بونهام كارتر المستشار العدلي في الحكومة العراقية .

ولقد اتضح لي أن القضايا الرئيسية التى كان مقرر عرضها على المؤتمر كانت:

أولا : النظر فى اجراء ما يلزم لتقليل المبالغ التى كانت تنفقها الحكومة البريطانية فى العراق .

وثانياً : النظر في المؤهلات المتوفرة فى كل من الذوات الذين يمكن ترشيحهم لعرش العراق .

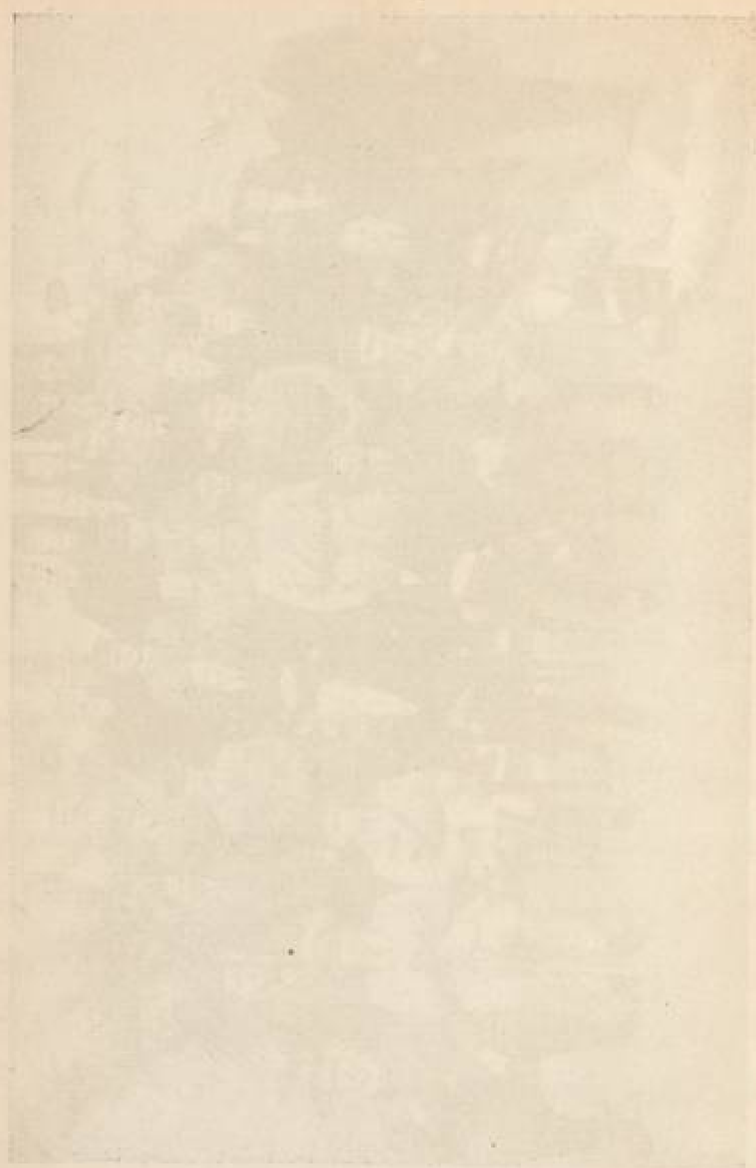
وثالثا : النظر فى الشكل الذي سيكون عليه وضع الحكومة العراقية الجديدة بالنسبة الى الاكراد والمناطق الكردية .

ورابعا: النظر في نوع وكيفية تكوين جيش للدفاع عن المملكة العراقية الجديدة.

وما عدا ذلك فقد أتاح لي وجودى فى المؤتمر فرصة الاتصال الشخصي بالوزير الذى كان قد ترأس وزارة المستعمرات حديثا في حينه والذى كانت آخر مواجهة لي معه عندما كان يشغل منصب وزارة الحرب البريطانية فتمكنت من المداولة معه في شؤون العراق بصورة عامة .

أما القضية الاولى التى تختص بتخفيض المبالغ التى كانت تصرفها حكومة بريطانيا في العراق ، فانى أتذكر بانها كانت قد بلغت في السنة الماضية(*) ٣٧ مليونا من الباونات الاسترلينية ، وكنت أنا والقائد العام للجيش البريطاني في العراق قد وضعنا خطة لانقاصها الى العشرين مليونا على أن يتبعها تخفيض متتابع سنويا حتى نصل بها الى أدنى حد ممكن ، فارتاح المستر تشرشل كثيراً لدى استلامه منا ما يوضح له هذه الخطة.

(*) يقصد المؤلف السنة التى سبقت تكوين الحكومة العراقية.





مؤتمر القاهرة

الذي أيد مطاليب الشعب العراقي بتكوين حكم وطني في العراق

تشكيل الدولة العراقية

الامير فيصل بن الحسين يفوز بعرش العراق

مؤتمر القاهرة برئاسة المستر تشرشل

يؤيد مطاليب الشعب العراقي

التصويت الشعبي العام

أما القضية الثانية التي عالجها المؤتمر فقد كانت تدور حول ايجاد مرشح لائق لعرش العراق ، وكان من الأسهل علينا الوصول الى نتيجة في ذلك باسقاط اسماء غير اللائقين من قائمة المرشحين للعرش من العراقيين وغيرهم ، غير ان خبرتي في معرفة حقيقة الشعور العام في العراق جعلتني مقتنعاً بانه لم يكن من بين المرشحين العراقيين من سيكون مقبولا بالاجماع من قبل جميع الاحزاب والطبقات العراقية المختلفة بينما كان هناك احتمال لم يكن أي شك فيه بان ترشيح احد ابناء الحسين شريف مكة (وملك الحجاز) قد ينال رضى اغلبية الشعب العراقي ان لم يكن اجمعه . واني شخصياً لم تكن عندي أية معلومات عن العائلة الهاشمية سوى ما كان قد طرق سمعي عنها، غير انه نظراً لعدم ظهور اي مرشح جديد للعرش العراقي توجهت الى القاهرة وقد

استقر رأيي على ان اعرض على المؤتمر تأييدي لمن يستقر الرأي العام العراقي عليه من ابناء الملك حسين الاربعة والسماح له بتجربة حظه في حكم اهل العراق فكان اسم الامير فيصل بن الحسين يدور على الألسنة وكان هو الذى فاز اخيرا بعرش العراق بنتيجة التصويت الشعبي العام .

المناطق الكردية في العراق

أما القضية المهمة الاخرى التي عالجها مؤتمر القاهرة فهي وضع صيغة نهائية للشكل الذى ستتخذه المناطق الكردية فى العراق بعد تكوين الحكم الوطني فيه فاستقر رأي اعضاء رغائب الجهات المؤتمر على القيام بمحاولة للتوثق من حقيقة الكردية عن مدى رغبتهم في الاندماج بالمملكة العراقية او الانفصال عنها.

اذاعة قرارات مؤتمر القاهرة

وقبل ان يصبح بالامكان اذاعة مقررات المؤتمر المذكور، كان محتم على الوزير المختص المستر تشرشل ان يعرضها لدى رجوعه الى انكلترا على مجلس الوزراء البريطاني ، غير انه لسوء الحظ وجد حكومة صاحب الجلالة البريطانية مشغولة بامور خطيرة داخل بلادها فأدى ذلك الى تأجيل اذاعته لنتائج المؤتمر حتى شهر حزيران من تلك السنة (١٩٢١).

الامير فيصل يتوجه الى العراق

وفي اليوم الثالث عشر من شهر حزيران سنة ١٩٢١ نشرت الصحف فى بغداد خبر سفر الامير فيصل متوجهاً الى العراق وذلك على اثر برقيات وصلت الى بعض الجهات العراقية من الحجاز . وبعد ذلك بايام قلائل تبودلت البرقيات الودية بين الملك حسين وسماحة السيد عبد الرحمن النقيب . وفي

اليوم الثاني والعشرين من الشهر نفسه أرسل الامير فيصل نفسه برقية لاسلكية الى سماحة النقيب يحييه فيها ويعلمه بوصوله المبكر الى البصرة .

بريطانيا لا توافق على اقامة حكم جمهوري في العراق

وفي تلك الاثناء كان البيان الذي أذاعه الوزير البريطاني عن صيغة سياسة حكومته في العراق قد أعطى الشعب العراقي ما كان يطالب الحكومة البريطانية دوماً به وهو حق الاسترشاد بها نظراً لما لها من التزامات تجاه هذه البلاد ، وبناء على ذلك فان الحكومة البريطانية سيراً على التقاليد الاسلامية رفضت رفضاً صريحاً الموافقة على اقامة حكم جمهوري في البلاد غير انها لما أكدت استعدادها للموافقة على اعتبار الامير فيصل الحاكم اللائق للعراق فيما اذا انتخبه الشعب العراقي بددت جميع الشكوك والمخاوف التي كانت تخامر اذهان العراقيين آنذاك .

شخصية نافذة واخلاق عالية

وقد كانت شخصية الامير فيصل الحامي الخاص عن نفسه اذ بنتيجة الترحيب الشامل الذي لقيه من كافة طبقات الشعب العراقي خلال الاسبوعين الاولين من وجوده في العراق اندفع سماحة النقيب بصفته رئيساً للوزراء دون أية استشارة بي وعرض على مجلس الوزراء في ١١ تموز ١٩٢١ اقتراحا يقضي بالمناداة بالامير فيصل ملكا على العراق على ان تكون حكومته دستورية نيابية ديمقراطية . فأيده جميع الوزراء في ذلك .

التصويت الشعبي العام

وعندما بلغت بصورة من ذلك القرار حسب الاصول المتبعة أجبت بانني

لا يسعني الموافقة عليه او تأييده قبل القيام بالاتصال المباشر بالشعب العراقي والتثبت من انتخابه اياه وذلك باجراء استفتاء عام فى جميع انحاء العراق وبناء عليه اتخذت التدابير اللازمة لاجراء ذلك فوجدت في النتيجة ان اهالي السليمانية يمتنعون عن الاشتراك بتاتا فى انتخاب ملك للعراق وما عدا ذلك فان الاستفتاء جرى فى جميع انحاء البلاد وكانت النتيجة ان ٩٦ بالمائة من الاصوات كانت من جانب الامير فيصل اما لاربعة الباقية من المائة من الاصوات فقد جاءت بصورة رئيسية من اتراك واكراد كركوك .

المناداة بالامير فيصل ملكا على العراق

المراسيم والاحتفال باعتلائه العرش

وفى الثامن عشر من شهر آب ١٩٢١ أبلغت وزارة الداخلية سماحة النقيب بصفته رئيساً لمجلس الوزراء بان الاغلبية الساحقة للشعب العراقى قد أيدت انتخاب الامير فيصل وعليه ففى الثالث والعشرين من شهر آب ١٩٢١ جرى الاحتفال الذى أعلنت فيه بحضور ممثلين من جميع طبقات الشعب ببغداد ومندوبين من جميع الالوية العراقية - عدا لوائي السليمانية وكركوك - بان الشعب العراقي قد انتخب الامير فيصل ملكا على العراق ، كما اني أعلنت فى الوقت نفسه اعتراف حكومة صاحب الجلالة البريطانية به ملكا للدولة العراقية.

استقالة الحكومة الموقتة

وحفظاً لعز الموقف ووقاره وسيراً على التقاليد الدستورية المتبعة عند اعتلاء ملك على العرش ، نهض سماحة النقيب فى ذلك المحفل وقدم بصورة رسمية الى جلالة الملك فيصل استقالة حكومته الموقتة فقبلها جلالته وشكر

سماحة النقيب وزملاءه على الخدمات الوطنية التي قاموا بها وطلب منهم الاستمرار على العمل فى دست الحكم ريثما يتم تشكيل وزارة جديدة وعند ذلك رأيت من المناسب ان أعلن رسمياً فى ذلك الموقف انعام جلالة الملك جورج الخامس على سماحة النقيب بوسام الفارس الاعظم للامبراطورية البريطانية وذلك تقديراً لخدمات سماحته لبلاده .

الملك فيصل يعلن سياسة حكومته

ثم أعقبني جلالة الملك فيصل وألقى خطابا أعلن فيه الخطة السياسية التي ستسير بموجبها حكومته مؤكداً رغبتـه في المحافظة على الولاء والتحالف بين العراق وبريطانيا العظمى وان يوضع ذلك فى شكل معاهدة يؤيدها المجلس الوطني حال التئامه .

الملك فيصل الاول يباشر اعمال حكمه للعراق

استقبل جلالة الملك فيصل لدى مباشرته اعمال حكمه في العراق وضعا مضطربا ومقلقاً في الوقت نفسه. ففي الشمال من مملكته كان الاتراك فى الواقع في وضع معاد للعراق ولو انهم نظريا كانوا فى هدنة قد أطيل أمدها انتظاراً لانهاء وضع معاهدة الصلح ، اذ كانوا من جهة قد زادوا حامياتهم ومراكزهم العسكرية على الحدود العراقية ، ومن جهة اخرى كانوا يحرضون الاكراد فى العراق على العصيان والثورة .

الاضطرابات في المناطق الكردية :

حملة يوزدمير التركي وعودة الشيخ محمود من منفاه :

فى شهر حزيران من سنة ١٩٢١ دخل الحدود العراقية موظف من

الأتراك ووصل الى راوندوز مع عصابة صغيرة من الجنود الغير النظاميين واخذوا يحرضون القبائل المجاورة على العصيان ويثيرون الفتن بين وقت وآخر في جميع أنحاء المنطقة الكردية حتى أخرجوا منها في ربيع سنة ١٩٢٣.

وفي شهر حزيران من سنة ١٩٢٢ جاء الى كردستان قائد قدير من من الجيش التركي الغير النظامي يكنى بلقب « يوزدمير » وأخذ ينظم من أفراد القبائل الكردية حملة عسكرية قوية واسعة وصلت بعض طلائعها حتى بلدة رانية فامتعضت قبائل السليمانية من ذلك وثارت قبائل الهموند فخرج صراخ عام من جميع أهالي منطقة السليمانية يعلنون فيه ان الوسيلة الوحيدة لتهدئة الحالة وتلافي الموقف هي باعادة الشيخ محمود الى السليمانية وكنا قد أبعدناه عنها في سنة ١٩١٩ ، ولما لم يكن في عزمنا اعادة احتلال السليمانية آنذاك رأينا اننا لن نتعرض الى اية خسارة اذا ما اعطينا الشيخ محمود فرصة أخرى لتحصين موقفه ، فاعدناه الى زعامة منطقته بعدما أخذنا منه أوثق التعهدات والتأكيدات اللازمة لمحافظته على الاستقرار والسكينة .

الوضع عند الحدود الصحراوية :

ابن السعود يحتل حائل ويطالب باراضي قبائل عنزه العراقية :

سيل من قبائل جبل شمر يلجأ الى العراق :

وكانت القبائل البدوية على الحدود الصحراوية في جنوب غربي العراق في حالة اضطراب دائم منذ اوائل سنة ١٩٢١ وذلك بسبب الأعمال الحربية التي قام بها سلطان نجد ضد عدوه ابن رشيد وعاصمته حائل ، وبنتيجة ذلك دخل العراق فيض كبير من لاجئي قبائل شمر خلال تلك

السنة فأدى ذلك بالطبع الى حدوث تأثير سيء على العلاقات بين العراق ونجد ، وزاد في الطين بلة مطالبة ابن السعود بضم قسم من العراق وهو أراضي منطقة قبائل عنزه الشرقية الى بلاده بعد استيلائه على حائل عاصمة جبل شمر في شهر تشرين الثاني من تلك السنة .

هجوم الاخوان على القبائل العراقية :

وفي شهر آذار من سنة ١٩٢٢ قامت جماعة قوية طائشة من بدو الاخوان الذين كانوا يعرفون آنذاك بالوهابيين التابعين لابن سعود بهجوم شديد على مخيم لجماعة آمنين من بدو عرب العراق الرعاة الذين كانت تحرسهم ثلة من حرس الصحراء العراقية وذلك على بعد ما يقرب من ٣٠ ميلا جنوبي خط السكك الحديدية وبالقرب من الحدود المؤقتة آنئذ بين البلادين وقاموا باعمال منكرة كنا واثقين أن سلطانهم نفسه وهو جالس في عاصمته البعيدة كان يستنكر منهم ما قاموا به من اعمال عدوانية كما كان من حقنا أن نقوم تجاههم باجراءات مقابلة دون الحاجة الى سابق اتصال بعلكم بهذا الشأن لو لم نعرف ان اجراءات كهذه كانت تؤدي حتما انذاك الى نشوب حرب بين العراق وسلطان نجد، وبالنتيجة كان يؤدي ذلك بالطبع وفي تلك الظروف الى كارثة من جميع الوجوه . ومع ذلك فان البعض من طياراتنا الاستطلاعية اضطرت بعدما اطلقوا النار عليها ان تقابلهم بالمثل ، فوجهت عند ذاك اخطاراً شديد اللهجة في الحال الى ابن سعود محتجاً به على هذا الغزو الاستفزازي الذي قام به رجال قبائله مذكراً اياه بالحدود الموقتة المتفق عليها بين الطرفين ومؤكداً طلبي منه بان يتفق معي على الترتيبات التي تجعل هذه الحدود ثابتة بصورة رسمية .

علاقات العراق مع بريطانيا والاعتداء الخارجي

ومنذ اعتلاء جلالة الملك فيصل الاول عرش العراق بذلت قصوى جهدي وقت بمختلف التشبثات في محاولتي الصعبة لايجاد علاقات ودية بين الملكين المتنافرين وكلاهما ـ أي ملكي العراق ونجد ـ حليفان لبريطانيا ، فكنت أنظر الى كليهما بعطف وأعتبر حدوث أي اضطراب خطير بينهما بانه فشل ذريع شخصي ورسمي لي معاً . غير ان موقفي كمندوب سام لحكومة صاحب الجلالة البريطانية آنذاك كان دقيق جداً .

اختلاف في الرأي بين العراق وبريطانيا

ان خبر وقوع الغزو أوجد سخطاً عظيماً عند بعض الجهات في بغداد ، وهذه بدورها طلبت من الحكومة القيام بالاجراءات اللازمة لمقابلة ذلك الاعتداء بالمثل سواء كانت او لم تكن لديها الوسائل اللازمة للقيام بذلك . وقد أدى الوضع الى التقول بكل جد بان الغزو قد جرى بتحريض من السلطات البريطانية غاية منها ان تجعل العراق يشعر بمدى حاجته الى الاستناد الى بريطانيا . وانتشرت هذه الرواية مع الاسف في وقت كان فيه الخلاف على أشده بين العراق وبريطانيا في وجهة النظر عن نوع وطبيعة العلاقات التي يجب ان تكون بين الطرفين .

نفرة العراقيين من فكرة الانتداب وتشاؤمهم من تسميانه

كان العراقيون ينفرون دائماً وبشدة من فكرة الانتداب ومن المصطلح « انتدابي » او « انتداب » وذلك منذ أول استعمالنا اياه واني مقتنع بان لهذه التسمية معنى غير مرغوب فيه باللغة العربية او بالأحرى ان هذه التسمية

نقلت في الصحف عند أول صدورها من مؤتمر الصلح وأسيء تفسيرها وتأويلها . واني واثق بان التسمية « انتدابي » وضعت من قبل مبتكرها الرئيس ويلسون وكان المقصود بها ان تعبر عن « الجهة التي تتعهد بالقيام بخدمة لجهة اخرى قد اودعت وديعة بين يديها ، والمقصود « بالجهة الاخرى » في هذه الحالة هي عصبة الامم . أما التسمية « انتداب » Mandate فهي التعهد الذي بموجبه يقوم المنتدب (بفتح الدال) بهذه الخدمة . غير انها فسرت في العراق بغير مفهومها الاصلي اي اعطي لها معنى « الانقياد للسلطة المنتدبة كانقياد الشعب للملك » وفسرت التسمية « انتدابي » [Mandatory] بالقوة او الجهة المنتدبة والتي تمارس السلطة العليا . وشتان بين التفسيرين والمقصود منها . فنظراً لسوء فهم المقصود من هذه التسمية، كنت اجد المسؤولين من رجال السلطة العراقية يتوقون كثيراً الى التخلص من هذه التسميات التي كان افراد الشعب ينفرون منها دائما لانها كانت تحدد بوضوح نوع علاقاتهم معنا فأدى ذلك الى كثير من الجدل الذين كنا في غنى عنه .

بريطانيا تستبدل حكم الانتداب بمعاهدة

مصادقة مجلس الوزراء العراقي على ذلك

وكانت حكومة صاحب الجلالة البريطانية قد وافقت في الحقيقة على توصياتي بوجوب وضع اسس علاقاتنا الانتدابية مع العراق في شكل معاهدة عوضاً عما كانت عليه قبل ذلك ، غير اننا وجدنا الملك فيصل ووزراءه عندئذ يريدون ان يخطوا الى مدى ابعد من ذلك اذ انهم أخذوا يشددون في طلب الغاء الانتداب الغاء تاما نظرا لعدم ملاءمته لاستقلال البلاد والتعويض عنه

بمعاهدة تحالف بسيطة ، غير ان الحكومة البريطانية كانت تريد معاهدة في حدود المقصود من الانتداب. وكما سبق لي ذكره حدث هذا الاختلاف الشديد في الرأي مع الأسف في نفس الوقت الذي وقع فيه الغزو عند الحدود الصحراوية ، فثار ثائر مقاومي الانتداب واشتد ساعدهم واستمروا في الهياج طيلة فصل الصيف . وفي شهر حزيران من السنة نفسها قامت الصحف العربية بحملة قوية جدا ضد الانتداب بدأت على اثرها ظهور معالم الاضطراب من جديد في جهات الفرات وانخفض مستوى دفع الضرائب من قبل الشعب الى حد الاضمحلال . وعندما صادق مجلس الوزراء العراقي على قبول المعاهدة حدد قبوله بها نهائيا بعد مصادقة المجلس التأسيسي العتيد عليها .

سقوط اول وزارة عراقية : (وهي الوزارة النقيبية الاولى)

وامتاز شهر آب من صيف تلك السنة بتشكيل حزبين سياسيين متطرفين وفي السادس عشر منه رأى المعتدلون من أعضاء الوزارة انهم أصبحوا غير قادرين على ضبط الأعضاء المتطرفين منهم ضمن حدود معينة فاستقالوا جميعاً ما عدا سماحة النقيب الذي احتفظ بمنصبه كرئيس للوزارة منعاً لما قد يؤدى الى انهيار كيان الدولة .

وفي تلك الأثناء أعلنت العناصر المتطرفة من الشعب وجوب تشكيل وزارة جديدة من بين أفرادها برئاسة أحد زعماء الاضطرابات من رجال الدين ونشرت في الصحف المحلية بيانا عاما تطالب فيه باستئصال أواصر العنصر البريطاني من الأعمال والمناصب الادارية في الدولة .

الاعتداء على كوكس عند البلاط الملكي

وفي هذه الظروف المضطربة صادف يوم أول عيد لتتويج جـلالة الملك فيصل الاول وهو اليوم الثالث والعشرين من شهر آب الآنف الذكر وكان يوم صاخب بالاضـطرابات والمظاهرات، فتوجهت فيه بزيارة رسمية الى البلاط الملكي لا قدم واجب التهاني الى جلالته بعيد تتويجه ، وقبل دخولي الى البلاط جوبهت بتجمهر صغير من المتظاهرين ضد الانتداب وعوملت معاملة عدائية فاتخذت في الحال اجراءات سريعة أدت الى قيام الحكومة العراقية بتقديم اعتذار رسمي الي عن وقوع هذا الحادث .

جلالة الملك يتمرض فجأة ، ظهور معالم ثورة جديدة خطيرة

الاتراك يسيطرون على المنطقة الجبلية

وأعلن في الوقت نفسه أصابة جلالة الملك فيصل بالتهاب فجائي خطـر في الزائدة الدودية يتطلب اجراء عملية جراحية في الحال ومعنى ذلك أن جلالته سيكون بعيداً عن العمل في شؤون الدولة لمدة ما بعد ذلك ، وهكذا فاني جوبهت بوضع فريد في نوعه إن لم يكن حرج في الوقت عينه ، فالوزارة كانت قد استقالت والملك قد اقعد عن العمل بينما كانت قبائل ولاية بغداد ومنطقة الفرات على وشك القيام بثورة كانت معالمها تدل على انهـا لن تكن اقل خطورة من تلك التي كانت هذه العناصر المتطرفة نفسها قد أثارتها سنة ١٩٢٠ ، وفي الوقت نفسه كان الاتراك قد خرجوا منتصرين من حربهم مع اليونان فازداد بذلك نفوذهم في هذه البلاد كثيرا وسيطروا على بلدتي راوندوز

ورانية ثم أخذوا يهددون بالاستيلاء على السليمانيه .

كوكس يتولى ناصية الحكم

ولما لم يبق فى البلاد سلطة مسؤولة في الواقع سواي بصفتي المندوب السامي، وجدت نفسي مضطرا ان أتمهد الموقف واستخدم سلطتي بكاملها . فصدرت في الحال بيانا أوضحت فيه الوضع فى البلاد وبينت فيه بان الاجراءات الاستثنائية التي اتخذت لا يقصد بها أى تبديل فى السياسة المرسومة والتي قد استقرت عليها حكومة صاحب الجلالة البريطانية وطلبت من جميع الاشخاص الموالين لنا والمعتدلين والذين يضمرون خيرا لمصلحة بلادهم ان يتعاونوا معي في مقاومة مثيري القلاقل والاضطرابات فى البلاد . وبناء عليه ألقي القبض فى الحال على منزعمي الاضطرابات وسدت ابواب الحزبين الجديدين المتطرفين وأوقفت الصحف المسيئة الى الموقف عن الصدور وأوعزنا في الوقت نفسه الى الزعيمين الدينيين الفارسيين اللذين حرضا على اصدار المناشير ضد الاجانب بان يتركا العراق ويتوجها الى بلادهما حفظاً لصحتها. ثم طرد ونقل بعض الموظفين العرب الذين سمموا بدسائسهم شعور أهالي الفرات الأسفل تجاه دولتهم .

وهكذا فقد كان مفعول هذه الاجراءات سريعاً اذ لم يحن اليوم العاشر من شهر ايلول إلا وقد عم الهدوء والاستقرار جميع جهات العراق باستثناء بعض أعمال المعارضة الحماسية المنفردة ثم وجود الاضطراب المزمن في المناطق الكردية والذى استمر فيها لمدة من الزمن كصدى لمفعول دعاية الاتراك وتحريضهم .

جلالة الملك فيصل يستأنف أعمال ملكه :

انسحاب الانكليز من السليمانية، الشيخ محمود يسيطر على المنطقة الجبلية

وكان جلالة الملك فيصل قد استعاد صحته في ذلك التاريخ وأصبح بامكانه مزاولة أعمال ملكه ، فسمح لي حينذاك بمقابلة جلالته وشكرني قلبيا على الاعمال التى قمت بها أثناء تغيب جلالته عن عرش المملكة .

أما المنطقة الشمالية الشرقية من العراق فقد بقيت مصدر للقلاقل وكانت قد أرسلت من السليمانية قوة عسكرية من اللوى (وهي الجنود المأجورة) لتتبع عصابة من الثوار الاكراد ، وبعد أن اشتبكت معهم في موقع بعيد عن قاعدتها السليمانية أرسلت قوة من الجنود الهنود لامدادها ولدى دخول هذه القوة المختلطة في أراضي وعرة صعبة غلبت على أمرها بالقرب من رانية وذلك في اليوم الاول من شهر ايلول من سنة ١٩٢٢ فانقذت بكل صعوبة وبنتيجة هذا الفشل المقلق تقرر سحب جميع الشخصيات البريطانية من السليمانية وجرى هذا الاخلاء في يوم واحد بواسطة الطيارات وبدون أية صعوبة ، وهو عمل باهر دل على مقدار قيمة وكفاءة الوسائل الجوية في ظروف كهذه وبذلك أصبحت السليمانية تحت سيطرة الشيخ محمود كما لم يكن بامكان حكومة بغداد آنذاك السيطرة على جميع المنطقة الجبلية الواقعة شرق خط أربيل ـ كفري ـ كركوك .

مارشال الجو البريطاني السر جان سالموند

مخرج الاتراك من المنطقة الكردية

ومن حسن الحظ تبدل شكل الوضع عند هذا الموقف وذلك بتطبيق ما

كان تقرر اجراؤه مبدئيا في مؤتمر القاهرة قبل ذلك بثمان عشرة شهرا وهو وضع جميع القوات الامبراطورية في العراق بما فيها جيش المشاة واللوي والقوة الجوية الملكية تحت قيادة آمر القوة الجوية البريطانية ولم يكن في النية اجراء هذا التبديل حتى يتوصل الى تسوية مع تركية ويبت في تحديد الحدود الشمالية ، غير أن مارشال الجو السر سالموند أخذ على عاتقه قيادة هذه القوات ابتداء من أول تشرين الأول سنة ١٩٢٢ ، وبدأت أعمال القصف الجوي الشديد منذ ذلك التاريخ ضد الاتراك والموالين لهم أينما وجدوا فاضطروا بعد ذلك التاريخ باربعة أشهر أن ينسحبوا جميعا من منطقة رانية ويتجمعوا في بلدة راوندوز التي اخرجوا منها نهائيا في شهر نيسان من سنة ١٩٢٣ .

سماحة النقيب يشكل وزارة جديدة :

التوقيع على معاهدة التحالف مع بريطانيا العظمى :

لدى استعادة جلالة الملك صحته حان الوقت لتشكيل وزارة جديدة ونجح سماحة النقيب في تشكيلها في أواخر شهر أيلول من سنة ١٩٢٢ . وكنا قد انتهينا آنذاك من تسوية المشاكل التي كانت قد نشأت عن المعاهدة والانتداب وذلك بالمراسلة مع وزير الخارجية البريطانية ، لذلك في العاشر من شهر تشرين الأول وقع سماحة النقيب معي معاهدة التحالف بين بريطانيا العظمى والعراق ونشر نصها في الصحف في اليوم الثالث عشر من شهر تشرين الأول مع بيان من قبل صاحب الجلالة الملك فيصل معرباً فيه لشعبه عن رضاه الكلي بها ، وكانت المدة التي حددت لدوام المعاهدة الأصلية عشرون

سنة ، وفى اثناء المحادثات الطويلة التي نتجت عنها هذه المعاهدة لم يقدر لها مدة اقل من خمس عشرة سنة غير ان هذه المدة رغم ذلك قد انقصت كثيرا كما هو مبين في ذيلها .

مؤتمر لوزان الاول ومحاولة تركية ضم العراق اليها

وعندما قرب موعد انعقاد مؤتمر لوزان الاول قويت الدعاية التركية التي كانت ترمي الى اعادة ضم العراق الى تركية وازداد مفعولها قوة اكثر فاكثر بحيث انها أثرت كثيراً في شيوخ الفرات وأهالي شمالي العراق . وعندما صدرت الارادة الملكية في اليوم الحادى والعشرين من شهر تشرين الاول باجراء الانتخابات لتكوين المجلس التأسيسي الذى سيصادق على المعاهدة ويضع القانون الاساسي للدولة جوبهت تلك الارادة الملكية بفتوى دينية موقعة من قبل بعض زعماء الدين الساخطين من اهالي كربلاء والكاظمية تمنع الشعب من الاشتراك فى هذه الانتخابات .

استقالة الوزارة النقيبية الثانية وتشكيل الوزارة السعدونية

فتحقق عندئذ بانه يتحتم على الحكومة العراقية اتخاذ خطة اشد من قبل في العمل لمكافحة هذه القوات المعارضة وشعر سماحة النقيب الذى كان قد أشغل منصب رئاسة الحكم بكل صلابة في جميع الظروف المتقلبة والمواقف المختلفة التى مرت منذ تشكيل الدولة العراقية الى ذلك الحين بانه قد حان الوقت لتسليمه ادارة دفة سفينة البلاد الى رجل أصغر منه سناً ، وعليه قدم سماحته استقالة وزارته فاعقبه عبد المحسن بك السعدون وأعاد تشكيل الوزارة .

الشعب البريطاني يريد الانسحاب من العراق

امتناع الوزارة البريطانية الجديدة عن تصديق المعاهدة

وعند هذا الموقف الفاصل حدث تبدل في رجال الحكم في بريطانيا أثر ذلك كثيراً في مستقبل الوضع في العراق ، اذ في اليوم الثالث والعشرين من تشرين الاول أي بعد التوقيع على المعاهدة العراقية بعشرة ايام ، استقالت الوزارة الائتلافية البريطانية التي تم على عهدها تكوين المعاهدة والمصادقة عليها ، وصارت القضية العراقية عقبة بارزة في طريق الانتخابات العامة التي أعقبت سقوط الوزارة في بريطانيا ، وعند ذلك ثارت حملة صحفية قوية جداً ضد الحكومة البريطانية لصرفها المبالغ البريطانية الطائلة على العراق وتولى عدد من اعضاء مجلس النواب البريطاني الجديد إلزام الحكومة البريطانية باخلاء العراق في أول فرصة، وتشكلت بنتيجة ذلك في لندن لجنة وزارية في كانون الاول سنة ١٩٢٢ لتقرير المستقبل في العراق . وفي تلك الاثناء امتنعت الوزارة البريطانية الجديدة عن تصديق المعاهدة العراقية البريطانية التي كان العراق قد صادق عليها مؤخراً ومدتها ٢٠ عاما ، وفي الوقت نفسه رفض مندوبو الاتراك رفضاً باتا في مؤتمر لوزان الاول قبول أية فكرة تقضي بابقاء ولاية الموصل تابعة للعراق كما انهم رفضوا ايضاً احالة قضية الحدود العراقية التركية الى عصبة الامم ، فأفسح هذا الوضع المجال لبريطانيا لكي ترفض التصديق على المعاهدة . وهكذا بقي مصير العراق معلقاً مدة اربعة اشهر طغت عليه في خلالها الدعاية التركية اذ لم يكن قد بت بعد في أمر اعادته الى تركيا او ابقائه مستقلا .

كوكس يحضر المؤتمر الوزاري البريطاني للبت في مصير العراق

كوكس يعود من لندن بملحق للمعاهدة العراقية البريطانية

فاستدعيت الى لندن لحضور مذاكرات المؤتمر الوزاري الذي عقدته الوزارة البريطانية الجديدة للبت في مصير العراق وعليه فلدى وصول السر هنري دوبس الى بغداد (*) سافرت الى لندن في اليوم التاسع عشر من شهر كانون الثاني سنة ١٩٢٣ بعدما عهدت اليه باعمال منصبي اليه وهو وان لم يكن حديث عهد بالعراق - اذ كان قد اشتغل معي فيه مدة سنتين أثناء الحرب العالمية - فان اعمال المنصب الذي عهد اليه كانت مملوءة آنذاك بالمشاكل والارتباكات .

وفي اليوم الحادي والثلاثين من شهر آذار عدت من مهمتي في لندن ومعي مسودة بروتوكول (اي ملحق) لمعاهدة التحالف بين العراق وبريطانيا وهو الذي نتج عن المذاكرات التي جرت في المؤتمر الوزاري البريطاني الذي عقدته الحكومة الجديدة لصاحب الجلالة البريطانية وقد انقصت فيه مدة المعاهدة من عشرين الى اربع سنوات على ان تبدأ هذه المدة من تاريخ التصديق على معاهدة الصلح مع تركيا ، غير ان هذا الملحق ينتهي بشرط منعش للامل اذ كان ينص على انه لا يمنع هذا الملحق للمعاهدة القيام باي اتفاق جديد في سبيل تسوية العلاقات بين الطرفين الساميين على ان تجري المفاوضات لاتفاق كهذا قبل انقضاء المدة المحددة للمعاهدة .

(*) وكان قد عين بمنصب مستشار للمندوب السامي في العراق وفي الوقت نفسه ليكون خلفاً في منصبي بعدما تنتهي مدة خدمتي فيه .

كوكس ينهي تصديق البروتوكول ويغادر العراق نهائيا :

وفي العشرين من شهر نيسان سنة ١٩٢٣ تم توقيع رئيس وزراء العراق معي على هذا الملحق للمعاهدة فكان ذلك آخر عمل رسمي قمت به كمندوب سام لحكومة صاحب الجلالة البريطانية في العراق ، وبعده اودعت اعمال منصبي مطمئنا بين يدي مستشاري الخبير وخلفي السر هنري دوبس وذلك نظرا لقرب موعد ابتداء اجازتي التي منحتها قبل حلول موسم القيظ وقبل احالتي على التقاعد ثم في الوقت نفسه لوجود كثير من الأمور التي كان لا بد لي من انهائها قبل مغادرتي العراق نهائيا .

واني لدى كتابتي هذه المذكرات الموجزة عن المدة التي اشتغلت خلالها معي المس جرترود بيل لم اتمكن من ان اكرر الاشارة الى الثقة العظمى التي كانت تتمتع بها من قبلي وتقديري العظيم لتعاونها الكلي معي في القيام بالواجب الذي كان في عهدتنا ، ذلك التعاون الخالص الذي قامت به كذلك مع خلفي السر هنري دوبس كما تجد تفاصيل ذلك في رسائلها الخاصة الى والدتها .



السر هنري دوبس

المندوب السامي البريطاني الثاني

في العراق

مذكرة السر هنري دوبس

المندوب السامي الثاني في العراق

الى السيدة والدة المس بيل

دوبس يعين مستشارا للمندوب السامي في العراق

ثم مندوبا ساميا فيه

وصلت بغداد في اليوم الثاني والعشرين من شهر كانون الأول من سنة ١٩٢٢ لأتولى اعمال المنصب الذي كان قد استحدث آنذاك وهو منصب المستشار للمندوب السامي في العراق على ان اعقب السر برسي كوكس في منصبه عندما يحين وقت اعتزاله الخدمة في السنة التالية حسبما كان مفهوما غير ان الأمل باشغالي هذا المنصب كان ضعيفا ، اذ ان المذاكرات التي دارت في مؤتمر الوزارة البريطانية اتجهت الى التفكير بالغاء منصب المندوب السامي في العراق ، وبعيد وصولي الى بغداد استدعي السر برسي كوكس الى لندن ليساعد في سير مذاكرات المؤتمر الوزاري فسافر جوا من بغداد في اليوم التاسع عشر من كانون الثاني سنة ١٩٢٣ ولم يشترك بعد ذلك ثانية بصورة فعلية في الأعمال العامة التي تعود الى منصب المندوب السامي اذ انه عاد الى العراق لاعلان صيغة السياسة الجديدة للحكومة البريطانية فيه وليوقع على ملحق المعاهدة العراقية البريطانية الذي اقتضاه التبدل الذي حصل في الحكومة البريطانية ثم في الوقت نفسه لكي يستعد لمغادرة العراق بالاجازة نهائيا وكان موعد ذلك اليوم الثالث من شهر أيار سنة ١٩٢٣ .

دوبس يباشر أعماله كمندوب سام في العراق ويجابه وضعا مرتبكا :

ولدى مباشرتي اعمالي كمندوب سام في العراق في شهر كانون الثاني من سنة ١٩٢٣ وجدت ان كل أمل في القيام باجراء الانتخابات لتشكيل مجلس تأسيسي قد زال بينما كان الخطر التركي من جهة الشمال يزداد خطورة ، وكان مؤتمر لوزان الاول على وشك الانهيار ، كما كان في السليمانية في الوقت نفسه ما يدل على قرب قيام الشيخ محمود بثورة ، وقد كنا قد أعدناه مؤخراً من منفاه، بينما كانت أغلبية الشعب العراقي في وضع غريب ومدهش من ضبط النفس امتازت به الشعوب الشرقية عند انتظارها ما تهيئه لها الاقدار . غير ان عقيدة العراقيين في سمو غاية بريطانيا العظمى وانصافها للشعوب الضعيفة لم تزحزحها جميع الحوادث التى كانت قد جرت عدا ما أصابها من غشاوة وقتية خلال السنين المظلمة التى أعقبت الحرب العامة.

التوقيع على بروتوكول المعاهدة

قرب زوال النفوذ البريطاني من شؤون الدولة:

وكان السر برسي كوكس قد عاد من انكلترة في الحادي والثلاثين من شهر آذار سنة ١٩٢٣ ومعه نتيجة المذكرات التي كانت قد قامت بها الحكومة البريطانية وذلك على شكل مسودة لملحق لمعاهدة التحالف بين العراق وبريطانيا وقد انقصت مدة المعاهدة في هذا الملحق من عشرين الى اربع سنوات كحد أقصى لدوامها على ان يعتبر ابتداؤها من تاريخ تصديق معاهدة الصلح مع تركيا وانتهاؤها حال انضمام العراق قبل انقضاء مدتها الى عضوية عصبة الامم ، وجرى التوقيع على هذا الملحق في العشرين من شهر نيسان سنة

١٩٢٣ نخشي بعيدو النظر من أهالي العراق ان تكون هذه المدة المنقصة أقصر من ان تكفي لتمكن العراق من ان يعتمد على نفسه في تسيير دفة شؤونه ، واعتبرت الطبقات الموالية لنا من الشعب العراقي وأخصها قبائل الفرات وأهالي البصرة والآثوريون من الموصل بان هذا الانقاص كان غدراً بمصالحهم ، بينما رحب بذلك بكل تحمس رجال السياسة من أهالي بغداد والموصل حتى ان الملك فيصل ووزراؤه لدى تقديمهم شكرهم للحكومة البريطانية لما قامت به من خدمات للعراق في تأييدها لقضيته لم يخفوا سرورهم العظيم من قرب انتهاء عهد اشراف بريطانيا العظمى على شؤون دولتهم .

الشعب العراقي قلق من تهديدات الاتراك

سمو الامير زيد في الموصل

غادر السر برسي كوكس العراق في أوائل شهر ايار من سنة ١٩٢٣ بين مظاهر من الود والأسف على فراقه من قبل جميع طبقات الشعب العراقي وكنت في أثناء تغيبه عن العراق في لندن قد اتخذت الاجراءات التي من شأنها اعادة الطمأنينة الى قلوب الشعب من مخاوفه من تهديدات الأتراك ، وعليه تحركت قوة عسكرية مكونة من الجنود البريطانيين والعراقيين وتوجهت الى الموصل وتوجه سمو الامير زيد(*) شقيق جلالة الملك فيصل الى الموصل ايضا واتخذها مقراً له وذلك للقيام بالاجراءات السياسية اللازمة لكسب شعور الاكراد الى جانب العراق ، كما ان سموه أشرف في الوقت نفسه هناك على تكوين جيش غير نظامي من القبائل العربية ليقف بوجه كل هجوم قد يحدث

(*) وكان قد جاء الى العراق لاول مرة في شهر تشرين الثاني من سنة ١٩٢٢

على الجهات السهلية غربي الموصل اذا ما اقتضت الحاجة ذلك ، فكان لهذا الموقف الحازم من قبل سموه كما كان للموقف الوطيد الذي وقفه المندوبون البريطانيون في مؤتمر لوزان بجانب العراق أثره الفعال المباشر في حسن مصير المملكة باجمعها .

طرد يوزدمير التركي ورجاله واحتلال راوندوز

قصف مركز قيادة الشيخ محمود والتجاؤه الى الجبال

ورغم ذلك فلقد بقي الجنود غير النظاميين من الاتراك في راوندوز واتضح بأنهم كانوا ينظمون الخطط للقيام بثورة كردية بالتعاون مع الشيخ محمود زعيم السليمانية وعليه فنعاً لاتحاد كهذا قصف مركز قيادة الشيخ محمود بالقنابل من الجو فاضطر الى الالتجاء الى الجبال وعندئذ حان وقت اكمال نشر الهدوء والسكينة على الحدود وذلك باعادة احتلال راوندوز ، فتقدمت لذلك الى البلدة كتيبتان من الجنود واحتلتها بعد ان أخلاها الاتراك غير النظاميين بقيادة يوزدمير التركي دون اي قتال وذلك في اليوم الثاني والعشرين من شهر نيسان سنة ١٩٢٣ اى قبل افتتاح مؤتمر لوزان الثاني بيومين .

تعيين السيد طه زعيم قبائل نيري قائمقاما لراوندوز

ألحقت راوندوز بعد اعادة احتلالها بادارة لواء اربيل وعين السيد طه (*) زعيم قبائل نيري الكردية قائمقاما لادارتها وكان هذا رجلا ذا شخصية قوية وسمعة ممتازة بين الاكراد وجرى تعيينه برغبة من حكومتي العراق وبريطانيا اذ كان في النية ان تمهد هاتان الحكومتان اليه ادارة المناطق الكردية بواسطة موظفين من الاكراد فتمكن هذا بمساعدة الجيش الآثوري

(*) وكان قد التجأ آنذاك من جور الاتراك الى العراق .

الذي كان قد وضع تحت تصرفه من تطهير مركز منطقة راوندوز المهم ستراتيجياً (اى من حيث موقعه عسكريا) من النفوذ التركي .

فشل فكرة اقامة حكم ذاتي في السليمانية

السماح للشيخ محمود بالعودة اليها موقتاً

بعد اعادة احتلال راوندوز ببضعة أسابيع جرى احتلال السليمانية بصورة موقتة وهرب الشيخ محمود عبر الحدود الفارسية وكانت هناك فكرة باقامة نوع من الحكم الذاتي فيها وذلك بالتعاون مع الزعماء الموالين من الاكراد غير انه لم يكن بامكاننا ان نحصر في السليمانية فى سبيل تنفيذ ذلك عدداً كبيراً من الجنود التي قد نحتاج اليها عند الحدود الشمالية كما لم يكن هناك اي زعيم كردي بمقدوره مقاومة الشيخ محمود دون ان تكون لديه قوة عسكرية تسنده ، وعليه أخلينا السليمانية فى العشرين من شهر حزيران سنة ١٩٢٣ وسمح للشيخ محمود بالعودة اليها لمدة ما واستئنافه السيطرة على مركز تلك المنطقة بعدما فصلت عنها أقسامها الخارجية النائية ووضعت تحت نفوذ الحكومة العراقية .

جلالة الملك فيصل يسخط على سماحة الشيخ مهدي الخالصي

بعد الانتهاء من تقوية الحدود وصد الخطر التركي فى الشمال، أفسح المجال لمعالجة الموقف السلبي الذى كان زعماء الدين من الشيعة قد أثاروه ضد قيام الحكومة العراقية باجراء الانتخابات لتكوين مجلس تأسيسي في البلاد ، اذ كانت قد وصلت معارضتهم فى شهر تموز من سنة ١٩٢٣ ضد مقام الملك والحكومة العراقية الى درجة لم يصح السكوت عنها ، فاضطر جلالة الملك

فيصل ان يصدر أمراً بابعاد زعيمهم سماحة الشيخ مهدي الخالصي فدبر وأجري أمر ابعاده من قبل الموظفين العراقيين ثم أعقبه عدد من زعماء الدين الفرس البارزين الذين تركوا العراق احتجاجاً على ذلك وباختيارهم وتوجهوا الى ايران ، فقررت الحكومة العراقية حينئذ عدم السماح لأي منهم بالعودة الى العراق قبل الانتهاء من اجراء الانتخابات ومصادقة المجلس التأسيسي العراقي على معاهدة التحالف بين العراق وبريطانيا ، وقوبل هذا القرار بالرضى التام من الرأي العام العراقي كافة ، بينما كان له أثره في اثارة الرأي العام في ايران ضد العراق .

جلالة الملك فيصل يجول في انحاء المملكة

وفي خلال هذه المدة قام جلالة الملك فيصل الاول بجولة في جميع انحاء المملكة لايضاح سياسة حكومته ولحث الشعب على الاشتراك في الانتخابات وبعده بعدة وجيزة قمت أنا ايضاً بجولة في اطراف المملكة متبعاً خطى جلالته وأزلت عن الشعب العراقي كل شك في وحدة غاية الحكومتين العراقية والبريطانية في ذلك .

الحكومة العراقية تصدر الأوامر ثانية باجراء الانتخابات

وبعد ان أعدت الحكومة الرأي العام العراقي لذلك ، أصدرت الأوامر بالمباشرة ثانية باجراء الانتخابات وباكمال تسجيل قوائم الناخبين الأولين ، تلك القوائم التي لم تكن قد نظمت قبل ذلك بالشكل الذى يصلح الاعتماد عليه ، وعليه أجري التسجيل في جميع انحاء البلاد بكل نجاح بحيث خف حتى افراد أبعد القبائل في جهات الفرات والمناطق الكردية وبكل نشاط

للاشتراك فيه . وهكذا صفا الجو السياسي في البلاد بشكل سحري واخذت الانتخابات تجرى بشكل سريع رغم ماكان في قانون الانتخابات من عراقيل بحيث اضطرت الحكومة الى ايقافها لئلا يؤدي انجازها بهذه السرعة الى اجتماع المجلس التأسيسي قبل ان تكون الاتفاقيات الثانوية الملحقة بمعاهدة التحالف مع بريطانيا جاهزة للنظر فيها ، وكمل تسجيل قوائم الناخبين الأولين بصورة نهائية في اليوم السادس عشر من شهر كانون الاول سنة ١٩٢٣ وبوشر بانتخاب المنتخبين الثانويين في الخامس عشر من شهر شباط سنة ١٩٢٤ وأعلنت جميع نتائج الانتخابات في اواسط شهر آذار من سنة ١٩٢٤ .

ازدياد التوتر بين العراق وابن سعود ــ مؤتمر الكويت

وفضلا عن الجهود التي بذلتها أنا والحكومة العراقية في انجاز اعداد البنود الضرورية للاتفاقيات الثانوية الملحقة بالمعاهدة ، فأن فصلي الصيف والخريف الماضيين من سنة ١٩٢٣ كانا قد امتازا فقط بازدياد في التوتر بين العراق وابن سعود وذلك بسبب الغزوات الانتقامية التي قامت بها قبائل شمر على نجد ، تلك القبائل التي كانت قد التجأت الى العراق عندما استولى ابن سعود على حائل سنة ١٩٢١ واخيراً أتفق على عقد مؤتمر في الكويت برئاسة الكولونيل نوكس (*) وذلك للبت في القضايا التي كانت معلقة ، ليس فقط بين نجد والعراق بل وحتى القضايا التي كانت بين نجد والحجاز وشرق الأردن ايضاً .

(*) الذي عين بعدئذ رئيساً لدائرة المقيم البريطاني في الخليج الفارسي .

بدو الاخوان يغزون العراق ثانية ـ فشل مؤتمر الكويت

اجتمع المؤتمر في اليوم السابع عشر من كانون الثاني سنة ١٩٢٣ وتمكن من ان يوجد تسوية في جميع القضايا التي كانت بين العراق ونجد، غير انه في اليوم الرابع عشر من شهر آذار من سنة ١٩٢٤ قام بدو الاخوان من نجد بغزوة خطيرة جداً بعدد لا يقل عن الالفين من الغزاة الأشداء على قبائل الحدود العراقية وقتلوا منهم ١٨٠ شخصاً بين رجل وامرأة وطفل واستولوا على ٢٦٠٠٠ رأس غنم و ٣٧٠٠ من الحمير فكان ذلك سبباً لاثارة غضب اهل العراق الى درجة أدت الى فشل المؤتمر .

شهر آذار خطير : تشكيل الوزارة العسكرية الأولى

افتتاح المجلس التأسيسي العراقي التوقيع على المعاهدة وملحقاتها

اذاعة تنصيب جلالة الملك حسين خليفة على المسلمين :

وكانت الوزارة السعدونية قد استقالت حينذاك اي قبل اكمالها الاتفاقيات الثانوية للمعاهدة وذلك بنتيجة خلاف بالرأي مع جلالة الملك فيصل فشكل جعفر باشا الوزارة العسكرية الاولى وانجز المفاوضات في بنود الاتفاقيات المشار اليها وجرى التوقيع عليها في الخامس والعشرين من شهر آذار سنة ١٩٢٤ وبهذا أصبحت جميع وسائل التحالف جاهزة لعرضها على المجلس التأسيسي الذي افتتحه جلالة الملك فيصل في اليوم السابع والعشرين من شهر آذار سنة ١٩٢٤ وكان ذلك قد صار خطيرا اذ اعلن فيه بان جلالة الملك حسين أصبح خليفة للمسلمين وهذا مما زاد في رفع شأن البيت الهاشمي.

استمر المجلس التأسيسي العراقي بالتداول بالمعاهدة والاتفاقيات الثانوية



فخامة جعفر باشا العسكري



فخامة عبد المحسن بك السعدون





الملحقة بها حتى اليوم العاشر من شهر حزيران سنة ١٩٢٤ وصارت المعاهدة وملحقاتها موضع شك أخذ في الازدياد عندما صار المندوبون في المجلس يتأثرون باقاويل بعض المحامين المتطرفين ورجال سياسة مقاهي بغداد وحدث هناك كثير من سوء التأويل للمعاهدة فكان ذلك سببا قويا للتذمر من الاعباء الثقيلة التي فرضتها على العراق وذلك بالزامها اياه في وقت واحد بتوسيع الجيش ودفعه قيمة السكك الحديدية وتحمله حصة كبيرة من الديون العثمانية، ونتج هذا الموقف الصعب بصورة رئيسية عن انقاص مدة المعاهدة من عشرين سنة الى أربع سنوات اذ بينما كان الترتيب في المعاهدة الاصلية ان يكون توسيع العراق لجيشه بصورة تدريجية أصبح بموجب المعاهدة هذه ملزما باكمال منهج مضطرب يكلفه كثيرا بينما كان الامل ضعيفا في الواقع ان يتمكن العراق في غضون مدة قصيرة كهذه من تكوين جيش يصلح للدفاع الخارجي عن البلاد عند الحاجة .

الغاء الامتيازات الاجنبية في العراق :

وعلاوة على ذلك ففي مؤتمر القاهرة الذي عقد سنة ١٩٢١ حيث وضعت الخطة الاساسية للسياسة البريطانية في العراق قدرت مدخولات العراق السنوية اكثر بكثير من الواقع وذلك على أساس تضخم مبالغ الدراهم التي كانت متداولة فيه بعد الحرب العامة غير أن تقلص دخله السنوي بعد ذلك وازدياد أعباء مسؤولياته في الوقت نفسه كان يخشى ان يؤدي لا محالة الى تدهوره الى حالة الافلاس اذا ما حاول القيام بتأدية ما كان مشترطا عليه تأديته بموجب الاتفاقية المالية الملحقة بالمعاهدة كما كان هناك عارض قوي آخر في

طريق المعاهدة وهو انها لم تحتو على اي تعهد قطعي بالغاء جميع الامتيازات الاجنبية الاقتصادية والعدلية منها معاً من العراق تلك الامتيازات التى كانت تتمتع بها بعض الدول الاوربية القوية والولايات المتحدة الامريكية سابقا عندما كان العراق تابعا للامبراطورية العثمانية، بل كان في المعاهدة بند واحد فقط ينص على انه لعدم تقديم اي طلب من قبل الدول ذات الشأن لايجاد هذه الامتيازات في العراق فيجب وضع شروط معقولة تحفظ مصالح الاجانب في القضايا العدلية .

ياسين باشا الهاشمي يترأس لجنة تدقيق المعاهدة

هياج الشعب العراقي ضد المعاهدة

وفي العشرين من شهر نيسان سنة ١٩٢٤ قدمت لجنة المجلس التأسيسي التى عينت لتدقيق المعاهدة تقريراً فيه انتقادات شديدة وجيهة وكانت من وضع رئيسها ياسين باشا الهاشمي ، فازداد هياج الشعب ضد المعاهدة على اثر ذلك وأدى الى محاولة الاعتداء على حياة نائبين من محبذي قبول المعاهدة (*) واتضح بانه ان لم يوضع فيها ما يؤمن تطمين الشعب من جانب الوضع المالي المستقبل للبلاد فان الأمل يكون ضعيفاً بتصديق المجلس اياها، بينما من الجهة الاخرى لم يكن بالامكان قبول اي تعديل في المعاهدة والاتفاقيات الملحقة بها قبل تصديقها اذ ان أي شيء من ذلك قد يؤدي الى انهيار العلاقات بين العراق وبريطانيا وخلق مشاكل جديدة في انكلترا والعراق معاً .

(*) وهما عداي الجريان وسلمان البراك مندوبي لواء الحلة .

ومع هذا فان حكومة صاحب الجلالة البريطانية أعطت عهداً بانها ستعيد النظر في المسؤوليات المالية التي اشترطت على العراق في هذه المعاهدة وذلك بعد ان يجري تصديقها ، وهذا مما سهل القضية نوعا ما ولكنه زاد في الوقت نفسه الشكوك في بعض الاوساط في ان ذلك سيؤدي الى زيادة الامتيازات البريطانية .

الحكومة البريطانية تخطر حكومة العراق وتهددها :

المجلس التأسيسي يصادق على المعاهدة

فاستمر الهياج بسبب ذلك ضد المعاهدة وعندئذ عزمت حكومة صاحب الجلالة البريطانية ان تضع حداً لهذا التوتر الذي أوشك ان يكون خطيراً بعرضها قضية انتدابها على العراق على مجلس عصبة الامم وذلك في جلسته التي انعقدت في شهر حزيران من سنة ١٩٢٤ وعليه أعلنت انه اذا لم يصادق المجلس على المعاهدة حتى اليوم العاشر من شهر حزيران، فان ذلك يعتبر رفضاً لها . فاضطر المجلس التأسيسي الى قبول المعاهدة واتفاقياتها قبل منتصف ليلة العاشر من حزيران وشرح في ذيل قرار قبوله اياها بانه قد وافق عليها معتمداً على تأكيدات الحكومة البريطانية بأنها بعد تصديق المعاهدة ستعدل باقصى ما يمكن من السرعة الاتفاقية المالية بروح السخاء وحسن النية اللذين عرف بهما الشعب البريطاني .

المعاهدة تقترن بمصادقة عصبة الامم وجلالة ملك بريطانيا

ثم جلالة الملك فيصل

وابل من برقيات التهاني تنهال على دوبس من انحاء العراق :

كان قبول العراق للمعاهدة وتصديقه اياها حادثا شهيراً يستحق الذكر

لانه كان الأول من نوعه بعد الحرب العامة ان يجري اتفاق كامل واختياري لتحديد العلاقات المستقبلة بين بريطانيا العظمى وامة عربية وقد جرى بموجب انظمة نيابية حرة في كلا الطرفين . ومما يدل على رضى الشعب العراقي عامة عليها ، كثرة التهانى التي انهالت علي من جميع انحاء المملكة بعد تصديق المعاهدة ، وعرضت المعاهدة والاتفاقيات الملحقة بها على مجلس عصبة الامم في جلسته المنعقدة في اليوم العشرين من ايلول سنة ١٩٢٤ وبعدما دققت قبلها المجلس في اليوم السابع والعشرين من ايلول سنة ١٩٢٤ باعتبارها تنطبق بفصولها على المادة ٢٢ من ميثاق عصبة الامم وذلك في سبيل تسوية العلاقات بين العراق والدولة المنتدبة عليه من قبلها ، وصادق صاحب الجلالة البريطانية الملك جورج الخامس على المعاهدة واتفاقياتها في اليوم العاشر من شهر تشرين الثاني سنة ١٩٢٤ ثم صادق عليها جلالة الملك فيصل الاول في اليوم الثاني عشر من شهر كانون الاول سنة ١٩٢٤

المجلس التأسيسي يباشر بتشريع القانون الاساسي :

وبعد انتهاء المجلس التأسيسي العراقي من أمر المعاهدة باشر في تشريع القانون الاساسي للدولة ثم قانون الانتخابات وانتهى من الأول والمصادقة عليه في اليوم العاشر من تموز سنة ١٩٢٤ ومن الثاني في اليوم الثاني من آب سنة ١٩٢٤ وكان المنهج الذي وضع في بيان المستر تشرشل الذي أعلن في اليوم الثاني عشر من تشرين الاول سنة ١٩٢٢ كأساس ضروري لانضمام العراق الى عضوية عصبة الامم وانتهاء علاقات الانتداب مع بريطانيا ، المصادقة «اولا» على المعاهدة واتفاقياتها الملحقة ، و«ثانيا» سن قانون اساسي (اي دستور) للدولة ، و«ثالثا» الانتهاء من تثبيت حدود المملكة . وعليه فمنذ هذه المرحلة

كان العراق قد انتهى مما يختص به من ذلك المنهج ، أما قضية تثبيت الحدود فكان ذلك يرجع الى بريطانيا وتركيا .

استقالة الوزارة العسكرية وتشكيل الوزارة الهاشمية

الجيش العراقي يحتل السليمانية

وعنـد ذلك استقالت الوزارة العسكرية اذ كان جعفر باشا ووزراؤه قد انهكوا من العمل في خـدمة الدولة وانحل المجلس التأسيسي ، فشكل ياسين باشا الهاشمي الوزارة الهاشمية الاولى .

وكانت الحدود الشمالية ومنطقة الجبال الكردية في حالة هدوء تام خلال القسم الاخير من سنة ١٩٢٣ والنصف الاول من سنة ١٩٢٤ اما في السليمانية فان الشيخ محمود استمر على تعدي الحدود الموضوعة له بعدما سمح له بالعودة الى بلدته بعد اخلاء الجيش اياها في تموز سنة ١٩٢٣ فكان لا بد من تهديده بين وقت وآخر من الجو وذلك بقصف مركز منطقة نفوذه .

وفي أواسط شهر ايار من سنة ١٩٢٤ شجعته الأخبار المبالغ بها عن الهياج الذي جرى في بغداد ضد المعاهدة على ان يزيد من فعالية ثورته مما كان له أثره في منطقة كركوك فصار من الضروري القيام بحركة قصف شديدة جداً ضده اضطرته الى ترك السليمانية فاحتلتها كتيبة من خيالة الجيش العراقي بمساعدة جيش اللوي من الآثوريين وذلك في تموز من سنة ١٩٢٤ وهرب الشيخ محمود ثانية عبر الحدود الفارسية ووضعت الاقسام المتبقية من منطقة السليمانية تحت ادارة حكومة مدنية ذات شكل بسيط جداً بالنيابة عن الحكومة العراقية . ان هذا لم يؤمن الهدوء التام من الغزوات المحلية من قبل

العصاة غير ان بلدة السليمانية نفسها عادت من جديد الى حياة السكون والطمأنينة وأخذت تستعيد الحياة والانتعاش تدريجياً وكانت منطقة الاضطراب تقصي بالتوالي عن مناطق السكان في لواءي كركوك واربيل، اذ ان السليمانية نفسها - كمنطقة الحدود الافغانية الهندية - لم تهدأ هدوءاً تاما منذ أقدم الأزمان لذلك فلا ينتظر ان يسودها السكون بصورة تامة في ظرف مدة قصيرة من الزمن .

تعقد قضية الحدود العراقية - التركية

الاتراك يشتدون في طلب ولاية الموصل

بريطانيا تعرض القضية على عصبة الامم

ان المادة الثالثة من معاهدة لوزان تنص على ان الحدود بين العراق وتركيا تجري تسويتها بصورة ودية بين تركيا وبريطانيا في غضون تسعة أشهر واذا لم يتوصل الطرفان الى اتفاق في ذلك فعندئذ يجب عرض الخلاف الحاصل على مجلس عصبة الامم ، وكانت الحكومتان ذاتا الشأن قد اتفقتا على ألا تجري من قبل اي من الطرفين أية حركة عسكرية يراد منها باية صورة كانت تبديل الوضع الراهن في المملكتين وكان السر برسي كوكس قد قام خلال شهر ايار والاسبوع الاول من شهر حزيران من سنة ١٩٢٤ بمفاوضات غير مثمرة مع الحكومة التركية في مدينة القسطنطينية بشأن الحدود العراقية التركية اذ كان الاتراك متصلبين جداً في مطالبتهم بضم ولاية الموصل باجمعها الى تركية ومن المحتمل ان يكون قد شجعهم على هذا التصلب ما سمعوه من بغداد من ان المجلس التأسيسي كان على وشك ان يرفض معاهدة

التحالف مع بريطانيا العظمى وعليه توقفت مفاوضات القسطنطينية في اليوم التاسع من حزيران سنة ١٩٢٤ اي قبل مصادقة المجلس التأسيسي العراقي على المعاهدة العراقية البريطانية وعند ذاك لم يبق لدى الجانب البريطاني سوى عرض قضية الحدود التركية العراقية على عصبة الامم .

وفي تلك الأثناء بدأ نشاط عسكري تركي على الحدود العراقية اذ أرسل الأتراك والي بلدة جولمرك مع حرس قليل من الجنود ليزور منطقة شال التي كانت تركيا قد بلغت من قبل الحكومة البريطانية بان هذه البعثة داخلة ضمن منطقة نفوذ الحكومة العراقية وعليه القى الجيش الآثوري القبض على والي جولمرك أثناء قيامه بهذه الزيارة وأسروه ثم اطلق سراحه بعد ذلك .

اعتداء الاتراك على الآثوريين سكان الحدود العراقية :

الحكومة العراقية ترعاهم بعنايتها :

وفي أوائل شهر أيلول من سنة ١٩٢٤ جمع الاتراك عساكرهم للهجوم على المنطقة التي يشغلها الآثوريون من العراق، وفي اليوم الرابع عشر من ايلول عبرت جنودهم نهر الهيزل ودخلت أرضاً كانت بكل وضوح قسماً من أراضي العراق ، فقوبلوا بهجوم شديد من الجو واضطروا الى الانسحاب وعند ذاك غيروا اتجاه سيرهم الى جهة الشمال ومروا من مقاطعة سندي كلي الكردية التي لا تزال حتى الآن تابعة للعراق ومنها دخلوا الى ارض الآثوريين وخربوها وتركوها قاعاً صفصفاً وأخرجوا منها اهاليها الذين كان يبلغ عددهم ٨٠٠٠ نفس واضطروهم الى النزوح الى أراضي وادي العمادية حيث اضطرت الحكومة العراقية الى اغاثتهم ورعايتهم فكان ذلك دليلا بارزاً على نجاح

الادارة في الحكومة العراقية وعلى حسن علاقات العراق مع الاكراد. وهذه الغزوة التركية لم تؤد الى ثورة عامة على حدود لواء الموصل ضد الحكومة العراقية، ولو كانت وقعت لتركت لها أسوأ الوقع في مجلس عصبة الامم الذي كان مجتمعاً آنذاك في جنوة ليبت في وضع الحدود بين العراق وتركية.

« خط بروكسل » أي خط الحدود الشمالية للعراق :

وأخيراً وافق الاتراك امام مجلس عصبة الامم على المحافظة على الوضع الراهن حتى يبت في قضية الحدود وجرت تسوية الخلاف الأولي بخصوص خط الحدود الراهن في اجتماع خاص عقدته عصبة الامم في مدينة بروكسل عاصمة بلجيكا وذلك في تشرين الأول من سنة ١٩٢٤ وعرف هذا الخط منذ ذلك التاريخ باسم « خط بروكسل ».

عصبة الامم توفد لجنة الى العراق لدراسة قضايا الحدود الشمالية :

وفي شهر كانون الثاني من سنة ١٩٢٥ أوفدت عصبة الامم الى العراق لجنة من اعضائها تتألف من ثلاثة مندوبين من أبرز شخصيـــات بلاد السويد وبلجيكا وهنغاريا وقضت ثلاثة اشهر في العراق في دراسة قضايا الحدود الشمالية بين العراق وتركيا وكان يرافقها الجنرال جاويد باشا كخبير تركي وهـو الذي كان يقود الجيوش التركية التي كانت قد هاجمت الحدود العراقية مؤخراً، وكان المستر جاردين المفتش الاداري في العراق آنئذ الخبير البريطاني في اللجنة وكان الاتراك في المفاوضات السابقة بهذا الشأن قد طالبوا اجراء استفتاء لأهالي الموصل الى اي المملكتين يريدون الانضمام، غير ان الجانب البريطاني رفض ذلك على اساس ان ظروف السكان لا تساعد على الاعتماد على اي نوع

من الاستفتاء فتركت عصبة الامم عند ذاك الى اللجنة ان تختار السبل التى ترتئيها فى التحقيق فى هذه القضية ، وكانت اللجنة قد انجرفت كثيراً الى فكرة ارضاء طلب الاتراك وما عدا ذلك فانها قامت بدراسة تفصيلية للعوامل الاجتماعية والجغرافية والاقتصادية للقضية وأجرت تحقيقات سرية مع ممثلين من جميع طبقات السكان في البقعة التي كانت موضوع الخصام .

قضية مستقبل مسيحيي الموصل والآثوريين من منطقة الجبال :

ومن أبرز القضايا التي ظهرت بانها كانت موضع اهتمام اعضاء لجنة الحدود كانت قضية مستقبل وضع مسيحيي الموصل وعلى الأخص منهم النساطرة او الآثوريين الذين كما ذكرنا آنفاً كانوا عند زيارة لجنة الحدود لهذه البلاد لاجئين فى اراضي عراقية ، وكان يبلغ عددهم جميعاً نحو ٢٠ الفاً ينتمي قسم منهم الى البقعة التي تقع ما وراء اقصى الحدود الشمالية العراقية التي كان يطالب بها العراق بينما كان القسم الآخر منهم من سكان قرى جبال حكاري الواقعة في شمالي العمادية والتي كانت داخلة ضمن المنطقة المطالب بها . وكان هؤلاء الآثوريون قد ثاروا ضد الحكومة التركية سنة ١٩١٦ بتحريض من روسيا وبعد أن أهملهم الروس بعد الثورة الروسية شقوا لهم طريقاً بالقتال الى الأراضى الفارسية حتى اتصلوا بالجيوش البريطانية بعد ان فقدوا ثلثي عددهم فجلبهم الانكليز الى العراق وأبقوهم فيه مدة ٣ سنوات سكن بعضهم بعدها الاراضي العراقية غير المشغولة بالقرب من العمادية بينما شجع البعض الآخر منهم على التسرب الى البلاد التركية والعودة الى وطنهم المهجور في الجهات الشمالية ومكثوا هناك وأصلحوا جهدهم ما كان قد تخرب حتى أخرجهم الغزاة الاتراك منها مرة ثانية وذلك في شهر أيلول من سنة ١٩٢٤

جيش الليوي من الآثوريين اللاجئين :

الحكومة العراقية تغريهم للبقاء في العراق

وكان القسم منهم قد دخلوا منذ سنة ١٩٢١ وما بعد ذلك في خدمة الجيش البريطاني كجنود مأجورة (لوي) واثبتوا كفاءة ممتازة في القتال وساعدوا في اخماد الثورات الكردية التي كانت تحدث بين وقت وآخر ، وباخراج الجنود الاتراك غير النظاميين من راوندوز سنة١٩٢٣ ، واتفقت كلمتهم على ألا يعودوا الى الخضوع للنير التركي ثانية . ولكي تطمئنهم الحكومة العراقية عن مستقبلهم في العراق فيما اذا قررت عصبة الامم قطع علاقتهم باوطانهم الأصلية وعدتهم وزارتا جعفر باشا العسكري وياسين باشا الهاشمي بالتتالي بصورة رسمية بان تعطيهم اراضي في العراق وان توجد لهم نوعا من الادارة المحلية التي تؤمن لهم اقصى ما يمكن من حريتهم دون اي تدخل من قبل الحكومة العراقية . ومما لا شك فيه ان هذا الموقف المشرف من جانب الحكومة العراقية كان له تأثيره الفعال في مداولات ومقررات اعضاء لجنة الحدود . وانتهت اعمال اللجنة في الاسبوع الثالث من آذار من سنة ١٩٢٥ غير ان تقريرها لم يكن جاهزاً في دورة شهر حزيران من جلسات مجلس عصبة الامم لذلك أجل تقديمه اليها حتى شهر ايلول من تلك السنة .

الحوادث السياسية بعد سفر لجنة الحدود

اذاعة الدستور العراقي

ابتداء الحكم الدستوري في العراق

الشروع بالانتخابات النيابية

لم يكن مستحسناً ان تقدم الحكومة العراقية على المباشرة بالانتخابات لتكوين أول مجلس أمة دائمي حتى تنتهي لجنة الحدود من أعمالها وعليه أجل نشر القانون الأساسي الذي كان قد صادق عليه المجلس التأسيسي في شهر تموز من سنة ١٩٢٤ وذلك لتجنب ايجاد فترة بين دور حكم الوزارات غير الدستورية وبين دور الحكم بموجب النظام الدستوري البرلماني .

وفي مساء الحادي والعشرين من شهر آذار سنة ١٩٢٥ حين سافرت لجنة الحدود من العراق نشر القانون الأساسي بصورة رسمية في وسط من الافراح الشاملة من قبل الشعب العراقي وصدرت الأوامر باكمال القوائم الجديدة للمنتخبين الأولين والابتداء بالانتخابات النيابية .

الوزارة الهاشمية توقع اتفاقيتي شط العرب والترانسيت

وتمنح امتياز النفط

توقيعها عقود استخدام البريطانيين في دوائر الدولة

وكانت وزارة ياسين باشا الهاشمي قد صادقت قبل اتخاذ هذه الخطوات بمدة وجيزة على أربعة اجراءات مهمة لها مساس جوهري في مستقبل العراق

ورخائه «أولها» التوقيع على اتفاقية مع شركة النفط الانكليزية ـ الفارسية تتعهد فيها بقيامها بتنظيف قاع مصب شط العرب من الغرين النهري لكي يسهل على السفن البحرية ذات الحمولة الكبيرة الدخول الى ميناء البصرة، اما «الثانية» فكانت التوقيع على اتفاقية تجارة الترانسيت (رسم المرور) مع سوريا، وكانت «الثالثة» منح شركة النفط التركية امتياز استخراج النفط واستثماره وذلك في ولايتي بغداد والموصل اما «الرابعة» فكانت التوقيع على تعهدات ذات آماد طويلة مع بضعة مئات من المستشارين والموظفين البريطانيين الذين كانت الحكومة العراقية وهي في أول وأشد مرحلة من مراحلها كدولة مستقلة بامس الحاجة الى خبرتهم وانصبابهم الى توجيه الاعمال في دوائرها.

المستر امري يرسل بعثة مالية بريطانية الى العراق

البعثة المالية تؤيد مطاليب العراق

وبينما كانت الانتخابات النيابية تأخذ مجراهـا أرسل المستر امري وزير المستعمرات البريطاني بعثة مالية الى العراق لتدرس وضعه المالي والمشاريع التي يطمح في انجازها لتتمكن الحكومة البريطانية من تنفيذ وعدها باعادة النظر في شروط الاتفاقية المالية بعد تصديقها، وكان في تقرير تلك البعثة المالية الذي أنجز في الخامس والعشرين من شهر نيسان سنة ١٩٢٥ ما يؤيد الكثير من الانتقادات العديدة التي وجهت الى الاتفاقية المالية من قبل المجلس التأسيسي العراقي سنة ١٩٢٤ من انها تثقل كاهل العراق باعباء أعظم من قابليته على تحملها. وكان لنشر الاقتراحات التي قدمتها البعثة المالية في سبيل تخفيف وطأة تلك الاعباء المالية عن العراق وقع كبير أرضى

الشعب العراقي باجمعه وساعد على انتخاب نواب في أول مجلس أمة للعراق أغلبيتهم من الذين يحملون أطيب الشعور تجاه التحالف مع بريطانيا .

وزيران بريطانيان خطيران يزوران العراق ويجلوان الموقف فيه :

الاتصالات الشخصية خير من المخابرات القرطاسية :

وكانت زيارة المستر امري وزير المستعمرات والسر صموئيل هور وزير الطيران البريطاني للعراق في خلال النصف الاول من شهر نيسان سنة ١٩٢٥ عاملا آخر في هذا الوضع المساعد ، وقد سرت هذه الزيارة وشجعت اولئك الذين كانت قد اضطربت افئدتهم من جراء التحقيقات التي كانت قد قامت بها لجنة الحدود واقنعت الحكومة العراقية والشعب العراقي بثبوت وجود مصلحة لبريطانيا العظمى في شؤونهم . وأتاحت هذه الزيارة لجلالة الملك فيصل والشخصيات المزعمة في البلاد فرصة فريدة في نوعها لعرض مشاكلهم المختلفة والمخاوف التي كانت تساور قلوبهم بكل تفصيل وصراحة على الحكومة البريطانية والاستعاضة بالمداولات الشخصية التي كان لها اطيب الأثر عن المخابرات القرطاسية .

جلالة الملك فيصل يتداول مع الوزيرين البريطانيين في حدود حقوقه الملكية :

وكانت المداولات التي جرت بصورة خاصة بين جلالة الملك فيصل ورئيس وزرائه والمستر امري قيمة جداً لانها تداولت بصورة خاصة الامتيازات والواجبات التي يختص بها الملك بموجب الدستور العراقي الذي كان قد نشر حديثاً - تلك القضية التي كانت تحتاج الى مداولات سريعة جداً نظراً الى ان جلالة الملك فيصل كان يرغب في الحصول على حقوق اكثر مما كان يتطلبه من سلطة

لادارة دفة شؤون الدولة بعد المباشرة بتنفيذ القانون الاساسي .

المستر امري والسر صوئيل هور يرسمان خطة سريعة لتحسين

وضع الجيش العراقي :

ان اهم شاغل أشغل الوزيرين البريطانيين آنذاك كان ايجاد اسرع السبل لتحسين وضع الجيش العراقي وتدريبه ، وعليه عقدت مؤتمرات عديدة في بغداد للنظر في ذلك ، وقبل ان يغادر الوزيران العراق كانا قد فرغا من وضع خطة قبلتها الحكومة العراقية يتمكن الجيش العراقي بموجبها في ظرف مدة قصيرة ان يقوم بالقسط الوافر من حفظ الأمن الداخلي والسيطرة على الحدود العراقية وبذلك يخفف عن دافع الضريبة البريطاني اعباء الصرف على ذلك .

وبعد سفر الوزيرين البريطانيين أجريت الانتخابات بسرعة بحيث انها كملت في اليوم الثالث والعشرين من شهر حزيران سنة ١٩٢٥ ولم يكن في اجرائها أي مظهر لجهود حزبية اذ ان الاحزاب السياسية التي كانت قد تشكلت في السنين السابقة لذلك كانت قد انقرضت من الوهن والانحلال .

استقالة الوزارة الهاشمية

وعليه فعند الانتهاء من الانتخابات استقالت الوزارة الهاشمية بسبب خلاف في الرأي بين رئيسها ياسين باشا الهاشمي ووزير الداخلية عبدالمحسن بك السعدون اذ شعر الوزراء بعدم امكان الشخوص امام مجلس الامة على شكل وزارة متحدة الرأي وكلف جلالة الملك ياسين باشا الهاشمي بتشكيل وزارة جديدة ولكنه فشل في ذلك فكلف جلالته عبدالمحسن بك السعدون بانجاز



فخامة ياسين باشا الهاشمي

هذا الأمر فنجح هذا بتشكيلها وعندئذ باشرت الوزارة السعدونية الثانية باعمال الحكم في اليوم السادس والعشرين من تموز سنة ١٩٢٥ .

العراق يقطع اول مرحلة من حياته الدستورية المستقلة

اجتماع اول برلمان عراقي :

اجتمع اول برلمان عراقي في اليوم السادس عشر من تموز سنة ١٩٢٥ ، وافتتح من قبل جلالة الملك فيصل الأول وخصصت دورته الأولى للمناقشة في القوانين الخاصة بسيره في اعماله ثم في النظر في بعض التعديلات الضرورية في الدستور ثم في تدقيق ميزانية سنة ١٩٢٥ ـ ١٩٢٦ المالية على ضوء الاقتراحات التي كانت قد قدمتها البعثة المالية البريطانية ، وامتازت المناقشات فيه الى ذلك الحين بالحماس الجدي والشعور الطيب .

وهكذا كان العراق في شهر تموز من سنة ١٩٢٥ قد قطع المرحلة الأولى من تقدمه اذ انه كان قد قبل بواسطة ممثليه معاهدة التحالف مع بريطانيا العظمى ووضع له دستورا للحكم وأنشأ له حكومة دستورية تسير بموجبه ولم يبق سوى البت في امر حدوده حسبما يقرره مجلس عصبة الأمم ليتمكن من تقديم طلب دخوله كعضو في عصبة الامم حين يتمتع بجميع ما تختص به الدول المستقلة .

جلالة الملك فيصل يسافر الى لندن للمعالجة

تنصيبه سمو الامير زيد نائبا عنه

وفي شهر آب من سنة ١٩٢٥ اوجب وضع صحة جلالة الملك فيصل

سفره الى انكلترا للمعالجة فنصب جلالته اخاه الاصغر الامير زيد نائبا عنه على المملكة وغادر جلالته بغداد في اليوم الخامس من شهر آب ولم يعد من انكلترا حتى اليوم الخامس عشر من شهر تشرين الثاني من تلك السنة .

بريطانية تحتفظ للعراق بولاية الموصل

البرلمان العراقي يطيل أمد العلاقات مع بريطانيا

وفي تلك الاثناء اي في شهر آب من سنه ١٩٢٥ نشر تقرير لجنة الحدود وقبل ان يترجم بتفاصيله اوضح رئيس الوزراء للمجلس بانه قد طلب من العراق فيما اذا أردنا الاحتفاظ بولاية الموصل ان يطيل أمد العلاقات بينه وبين بريطانيا العظمى الى مدة ٢٥ سنة . ثم أضاف قائلا بانه لم ينكر أحد قيمة العلاقات الكائنة بين العراق وبريطانيا والفوائد التي جنتها هذه البلاد من وراء ذلك ، فكان هناك اجماع مدهش في مجلسي النواب والاعيان على الرغبة في اطالة أمد هذه العلاقات .

المستر امري يدافع عن حقوق العراق في عصبة الأمم

البرلمان العراقي يبرق اليه شاكراً

وعليه فعندما اجتمع مجلس عصبة الامم في شهر ايلول وقبل المستر امري بالنيابة عن الحكومة البريطانية البنود التي اقترحتها البعثة المالية البريطانية أبرق كل من مجلسي النواب والاعيان العراقيين الى الوزير يشكرانه على دفاعه عن حقوق العراق في مجلس عصبة الامم وقد أزعج أعضاء الحزب القومي العراقي المتطرف ان يروا جانبا من الصحافة البريطانية يرفض تمديد

أمد هذا التحالف العراقي البريطاني بحيث أدى ذلك الى اعتبار تلك الصحف البريطانية مأجورة للقيام بذلك من قبل الحكومة التركية .

ثم ولو ان التسوية المطلوبة لم يتوصل اليها في اجتماع عصبة الامم في شهر ايلول نظراً لاحالة بعض النقاط القانونية الى محكمة العدل الدولية الدائمة في مدينة لاهاي من هولندا فان الخطابات التي القاها كل من المستر امري والمستر بولدوين رئيس الوزارة البريطانية آنذاك أثرت كثيراً في تطمين الرأي العام العراقي بهذا الشأن ولم يكن هناك من شك عند أغلبية الشعب العراقي من ان بريطانيا ستؤيد حقوق العراق في ذلك .

بريطانيا تحتج الى تركيا لخرقها عهد المحافظة على الوضع الراهن للحدود العراقية

وفي كانون الثاني من سنة ١٩٢٥ قدم ممثل حكومة صاحب الجلالة البريطانية في القسطنطينية احتجاجا الى الحكومة التركية لخرقها عهد المحافظة على الوضع الراهن لحدود العراق الشمالية ريثما يتم البت فيها نهائيـا غير انه في شهر ايار من تلك السنة فاجأت عصابة محرضة من قبل الاتراك بهجومها حرساً من الشرطة العراقية كان يتجول جنوبي خط بروكسل وفي شهر حزيران تجمعت الجيوش التركية في البقعة التي تقع في شمال الحدود العراقية فقدمت حكومة صاحب الجلالة البريطانية حينذاك استيضاحا الى الحكومة التركية تسألها عن الاسباب الموجبة لهذا التجمع العسكري طالما كانت قد أعلنت رسميا عن انتهائها من قمع الثورة الكردية هناك .

***

الاتراك ينتقمون من سكان الحدود العراقية

اعتدائهم على الكويان والمسيحيين الاكراد

التجاء اهالي القرى الكلدانية على الحدود الى زاخو

احتجاج بريطانيا على ذلك في مجلس عصبة الأمم

وفى الوقت نفسه وردت الاخبار عن قيام الاتراك بحركة انتقام ضد الكويان والمسيحيين الاكرادالذين كانوا قد عرضوا على لجنة الحدود الأممية رغبتهم ببقاء اراضيهم ضمن الحدود العراقية ووصل منهم آنذاك ٥٠٠ شخص الى زاخو كلاجئين . وفي اوائل شهر ايلول بدأت تصلنا تقارير عن الاعمال الفظيعة التي كان يقوم بها الاتراك ضد اهالي القرى الكلدانية من اكراد الحدود ، تلك القرى الواقعة على طرفي خط الحدود الموقتة . ورغم ان اهالي تلك القرى لم يقوموا بأي عمل عدائي ضد الاتراك اثناء الحرب العالمية فانهم أخرجوا من البقاع التي كانوا يسكنونها قرب الحدود ونقلوا الى داخل البلاد التركية ، غير ان الكثير منهم هربوا وهم فى حالة يرثى لها من الفاقة والعوز ووصلوا الى زاخو وأخذوا يقصون اخبار المذابح والمظالم التي قاسوها من الاتراك فأودعت وزارة الداخلية العراقية مبلغاً من الدراهم تحت تصرف متصرف الموصل لمساعدة هؤلاء المنكوبين اللاجئين وعرض المستر امري وزير المستعمرات البريطاني قضيتهم بشدة على مجلس عصبة الأمم في اجتماعه الذى جرى فى شهر ايلول سنة ١٩٢٥ فثار ثائر المندوب التركى آنذاك لدى عصبة الأمم وأنكر جميع هذه الاتهامات فطلب الوزير البريطاني من مجلس العصبة ارسال لجنة محايدة منصفة الى منطقة الحدود العراقية ـ

التركية لتحقق فى القضية وتقدم تقريراً بذلك وكذلك لتقدم تقريراً عن الشكاوى التى قدمت الى مجلس عصبة الأمم عن خرق الاتراك لعهد المحافظة على الوضع الراهن للحدود الموقتة وعن حقيقة الشكاوى المضادة لها من قبل الاتراك انفسهم .

عصبة الأمم توفد لجنة حيادية من اعضائها للتحقيق في مظالم الاتراك

الجنرال ليدونر الاستوني يترأس اللجنة

فعهد مجلس عصبة الأمم بأمر التحقيق هذا الى لجنة من اعضائه برئاسة شخصية بارزة من اهالي جمهورية استونية(*) وهو الجنرال ليدونر ووصلت هذه اللجنة التحقيقية الى العراق فى السادس والعشرين من شهر تشرين الاول من سنة ١٩٢٥، غير ان الحكومة التركية لم تسمح للجنرال ليدونر بان يجري أي تحقيق في البقاع الواقعة شمالي خط بروكسل، وعليه فان اللجنة تمكنت من الحصول على الأدلة اللازمة فقط مما تمكنت من ان تجمعه من المعلومات عن ذلك من اهالي القرى الداخلة ضمن الحدود العراقية .

السكرتير العام لجمعية اصدقاء ارمينيا فى لندن يزور العراق

لتفقد احوال المسيحيين الاكراد

الملك جورج الخامس يرسل عضواً من حرسه الملكي الخاص

ليشرف على توزيع الاعانات على اللاجئين

وقبل وصول اللجنة التحقيقية الأممية بعدة وجيزة زار العراق ومخيمات

(*) وهى جمهورية صغيرة فى غربي روسيا تقع على ساحل البلطيق .

اللاجئين فيه السكرتير العام لجمعية اصدقاء ارمينيا في انكلترا واطمأن من اغاثة الحكومة العراقية اياهم بصورة جدية ، ولكنه رأى انه نظراً لكثرة عددهم وسوء احوالهم فانهم كانوا بحاجة الى مساعدة من الخارج ايضا ، فأبرق الى جميع الجمعيات والطوائف المسيحية المختلفة في انكلترة يطلب اغاثتهم ، فتشكلت في لندن لجنة أخذت تجمع لهم الاعانات وترسلها الى المندوب السامي في العراق لتوزع عليهم بواسطة لجنة متكونة من ثلاثة من الضباط الانكليز الذين كانت لهم خبرة جيدة في سير الامور عند الحدود العراقية الشمالية . وفي شهر كانون الاول من تلك السنة أرسل جلالة الملك جورج الخامس الكولونيل فيركمن عضو حرسه الملكي الخاص مندوباعن لجنة الاعانات البريطانية ليشرف على اعمال توزيع الدراهم التي جمعت في انكلترة لاغاثة هؤلاء اللاجئين المعوزين .

ثبوت فظائع واعتداءات الاتراك من تحقيقات اللجنة الأممية

وعند انتهاء الجنرال ليدونر واعضاء لجنته التحقيقية من تدقيق تحقيقاتهم بعد تفتيشهم لمواقع الحدود ومخيمات الاغاثة أبرق الجنرال الى عصبة الامم مبيناً عدم وجود أي شك في قيام الاتراك باخراج الاكراد الكويان والمسيحيين من البقاع التي تقع جنوبي خط بروكسل وان المهاجرين قد اعترفوا بانهم قد أخرجوا من اوطانهم بالقوة والظلم وان الاتراك قد ارتكبوا جرائم وفظائع ومذابح كثيرة عند قيامهم بذلك، ثم أضاف الجنرال بتقريره قائلا انه ما لم تتوفر لديه التسهيلات والوسائل اللازمة للتحقيق في جهات الجانب التركي من خط الحدود فليس ممكناً معرفة الأسباب الحقيقية

لاخراج الاكراد والمسيحيين سكان تلك البقاع من اوطانهم ، غير انه قد تكون لهذه العملية نتائج تستوجب دقة انتباه الدول اعضاء مجلس عصبة الامم اليها .

اللجنة التحقيقية الاممية تغادر العراق وترفع تقريرها الى عصبة الامم

وغادر الجنرال ليدونز والبعض من اعضاء لجنته التحقيقية العراق في اليوم الثالث والعشرين من شهر تشرين الثاني وبقي منهم عضوان في مدينة الموصل وذلك لفحص أية شكاوى اخرى قد تنشأ من هذه القضية وقدمت اللجنة تقاريرها كاملة الى مجلس عصبة الامم في اجتماعه الذي انعقد في شهر كانون الاول من سنة ١٩٢٥

محكمة لاهاي تقرر صيغة لتحكيم عصبة الامم في مشكلة الحدود العراقية

عصبة الامم تقرر «خط بروكسل» الحدود النهائية الثابتة للعراق

وفي الخامس والعشرين من شهر تشرين الثاني سنة ١٩٢٥ ورد قرار محكمة العدل الدولية في لاهاي ينص على ان القرار الذي سيتخذه مجلس عصبة الامم في قضية الحدود العراقية التركية يجب ان يكون على شكل رأي تحكيمي يتقيد به الطرفان المتخاصمان وان هذا القرار يجب ان يتخذ باجماع آراء اعضاء المجلس ، وانه وان كان لكل من بريطانيا العظمى وتركيا حق التمثيل والتصويت في الاجتماع الخاص بهذه القضية فان تصويتهما يجب ألا يؤخذ في نظر الاعتبار اذا كان مخالفاً للرأي الاجماعي لاعضاء مجلس عصبة الامم. فطبق هذا القرار عندئذ بصورة رسمية من قبل مجلس عصبة الامم في اجتماعه الذي انعقد في اليوم الثامن من شهر كانون الاول من سنة ١٩٢٥ وفي هذا

القرار الذي نشر في بغداد في اليوم العاشر من الشهر نفسه قرر مجلس عصبة الامم بالاجماع اعتبار « خط بروكسل » الحدود النهائية الثابتة بين العراق وتركيا على ان تضمنه بريطانيا وذلك بان تتعهد بموجب معاهدة جديدة مع العراق باستمرار علاقاتها الدولية مع الدولة العراقية لمدة خمس وعشرين سنة ما لم يدخل العراق قبل انقضائها عضواً في عصبة الامم .

تركيا ترفض الاعتراف بقرار عصبة الامم التحكيمي

بريطانيا تنصحها بالتفاهم بالطرق الودية

جلالة الملك فيصل يبرق شاكراً الى جلالة الملك جورج الخامس

اما المندوب التركي لدى عصبة الامم فانه رفض الاعتراف بسلطة المجلس التحكيمية لذلك فانه لم يحضر ذلك الاجتماع وعند ارفضاض الجلسة أعرب المستر تشمبرلن مندوب بريطانيا في عصبة الامم عن أمله بان تجري تسوية لهذا الوضع بين بريطانيا العظمى وتركيا بالطرق الودية ، وأرسل جلالة الملك فيصل الأول برقية الى جلالة الملك جورج الخامس معربا عن شكره وامتنانه من جهود بريطانيا في انهاء قضية الحدود العراقيـة التركية ، وأبرق عبدالمحسن بك السعدون رئيس الوزارة العراقية الى كل من المستر بولدوين رئيس الوزارة البريطانية والى السكرتير العام لمجلس عصبة الامم والمستر امري وزير المستعمرات البريطاني يشكرهم على الجهود التي بذلها كل منهم في انهاء قضية الحدود العراقية التركية حسب رغبات الشعب العراقي وفي هذه المناسبة سرى شعور طيب عام وانشراح شامل بين أفراد الشعب العراقي أملا منهم ان يكون رد فعل استقرار قضية الحدود مؤديا الى فتح باب

للرخاء الذي تصبو اليه البلاد .

بدء المفاوضات لمعاهدة جديدة بين العراق وبريطانيا

حزب الشعب برئاسة ياسين باشا الهاشمي يعارض في تجديد المعاهدة

وعليه بدأت المفاوضات في سبيل ايجاد معاهدة جديدة بين العراق وبريطانيا - وهي الثالثة من نوعها - وذلك في أواخر تلك السنة وأظهر جلالة الملك فيصل ووزراؤه وثيق رغبتهم واستعدادهم لاجابة طلب المستر امري وزير المستعمرات البريطاني بان يقتضي قبول بنود معاهدة التحالف المجددة الآنفة الذكر من قبل العراق قبل التئام مجلس العموم البريطاني في شهر شباط من سنة ١٩٢٦ .

غير ان جبهة المعارضة في العراق وكانت قد كونت من نفسها آنذاك حزبا يعرف باسم « حزب الشعب » برئاسة ياسين باشا الهاشمي أعربت عن شكوكها في الفائدة التي يتوخاها العراق من تمديد أمد معاهدة سنة ١٩٢٢ الى مدة ٢٥ سنة وعلى الأخص تمديد مدة الاتفاقيات الملحقة بها ، غير انه كان واضحاً منذ مبدأ الأمر ان أغلبية الشعب العراقي سواء داخل مجلس الأمة او خارجه كان مقتنعاً بان مصلحة العراق الداعية متعلقة بارتباطها مع الحليفة بريطانيا ، يضاف الى هذا ان مدة هذا التحالف الجديد قد تنقص كثيراً كما صرح به المستر امري بدخول العراق في عضوية عصبة الأمم وهي خطوة كان يشتاق الى تحقيقها كل من العراق وبريطانيا ما دامت ستخفف عن كاهل بريطانيا مسؤولياتها التي ارتبطت بها بموجب المعاهدة .

***

الوزارة السعدونية الثانية تقبل المعاهدة وتوقعها

وبعد مداولات كثيرة وصل الى بغداد من لندن نص المعاهدة الجديدة كما تريدها الحكومة البريطانية وذلك في السابع والعشرين من شهر كانون الاول سنة ١٩٢٥ ، وكانت الوزارة السعدونية ترغب فى ايجاد نوع من التلميح في المعاهدة الى التعديل المبكر الذي كان في النية اجراؤه فى الاتفاقيتين العسكرية والمالية وانه يجب ان يكون فيها شرط يشير الى امكان اعادة النظر بصورة متوالية فى هذا الوضع وذلك لكيما يجدد الموقف الذى عنده يكون العراق قد اصبح أهلا للدخول فيعضوية عصبة الأمم وكذلك فيما اذا كان التبدل فىوضعه العام يستوجب تبديلا آخر فى تلك الاتفاقيات فلم ير وزير المستعمرات البريطاني أي مانع من اجابة هذه الطلبات ، وبناء عليه قبلت الوزارة العراقية المعاهدة الجديدة (أي الثالثة) في اليوم الحادي عشر من شهر كانون الثاني من سنة ١٩٢٦ وجرى التوقيع عليها في اليوم الثامن عشر من الشهر نفسه .

حزب التقدم العراقي الحكومى يطلب احالة المعاهدة للتدقيق الى مجلس النواب

مجلس النواب يعقد جلسة سرية خلافا لرغبة حزب المعارضة

وطلب ياسين باشا الهاشمي بصفته زعيما للمعارضة احالة المعاهدة الى لجنة لانظر فيها ، فأجاب رئيس الوزراء على ذلك بان ٤٢ عضواً من حزب التقدم قد قدموا طلباً موقعاً من قبلهم يطلبون فيه احالة المعاهدة للمناقشة الى مجلس النواب في الحال . وأحال الرئيس المعاهدة الى المجلس وطلب جعل

جلسة المذاكرة بها سرية ومنع المستمعين من الشعب عن الحضـور في قاعة المجلس ، فترك قاعة المجلس ١٩ عضواً من حزب المعارضة مع رئيسهم ياسين باشا الهاشمي احتجاجاً على ذلك ، وبعد ان تناقش المجلس سراً مدة ساعة ونصف سمح للمستمعين من الشعب بالدخول ، فطلب رئيس مجلس النواب اجراء تصويت فردي فى قبول المعاهدة او رفضها وأخذ يستدعي كل نائب باسمه الخاص ليعبر عن رأيه ، فكانت الموافقـة على قبول المعاهدة باجماع الاعضاء الحاضرين فى المجلس ، وكان المجلس يتألف من ٨٨ عضواً وافق على المعاهدة منهم ٥٨ وكان ٩ منهم غائبين ومن بينهم ٣ من حزب المعارضه وترك المجلس احتجاجاً على الموقف ١٩ عضواً معارضاً وكان مقعد واحد شاغراً بالاصل وآخر كان يشغله رئيس مجلس النواب نفسه .

وصادق مجلس الاعيان على المعاهدة في اليوم التاسع عشر من شهر كانون الثاني وكان ١٧ عضواً من اعضائه من الموافقين عليها وعضو واحد معارضاً لها وعضوان غائبين .

ظهور حركة استقلالية كردية جديدة على الحدود الشرقية

التوقيع على معاهدة ثلاثية فى انقرة تنهي قضية خط حدود بروكسل

ان اكثر الحوادث التي طرأت بعد التصديق على المعاهدة الجديدة اهمية كانت ظهور حركة استقلالية كردية جديدة انتشرت بسرعة على الحدود الشمالية الشرقية ودخول عدد كبير من اللاجئين الاكراد الى العراق بنتيجة الاجراءات العسكرية التي قام بها الاتراك ضد القبائل الكردية فى بلادهم .

وفي اليوم السادس والعشرين من شهر أيار سنة ١٩٢٦ دخل السر رونالد

ليندزي السفير البريطاني في القسطنطينية بمفاوضات مع الحكومة التركية بسبب رفضها الاعتراف بالسلطة التحكيمية لمجلس عصبة الامم فى قضية الحدود العراقية التركية واظهرت الحكومة التركية استعدادها التام للقيام بمذاكرات ودية بهذا الشأن ، وعليه سارت المفاوضات بدرجة من السرعة بحيث انها أدت الى التوقيع على معاهدة ثلاثية في انقرة في اليوم الخامس من شهر حزيران سنة ١٩٢٦ بين بريطانيا والعراق وتركية ووصل نوري باشا السعيد الذي كان يمثل العراق في هذه المفاوضات الى بغداد يحمل المعاهدة وذلك في اليوم الثالث عشر من شهر حزيران سنة ١٩٢٦ وتعترف تركيا بهذه المعاهدة بالحدود الشمالية الحالية للعراق وهي « خط بروكسل » بعد اجراء تعديل طفيف جداً فيه ثم دخلت الحكومتان العراقية والتركية بعد ذلك بتبادل مسؤوليات حسن الجوار . وفي اليوم الرابع عشر من حزيران صادق مجلسا النواب والاعيان العراقيان على هذه المعاهدة وصادقها في الحال عندئذ جلالة الملك فيصل الاول .

جلالة الملك فيصل يقيم مأدبة رسمية احتفالا بالتفاهم مع تركيا

وفى اليوم الخامس والعشرين من شهر حزيران سنة ١٩٢٦ أقام جلالة الملك فيصل مأدبة رسمية احتفالا بالتوقيع على المعاهدة الثلاثية صرح جلالته فيها بشكره الجزيل للحكومة البريطانية وممثليها على جميع الخدمات الثمينة التي قاموا بها تجاه العراق وكانت المس كيرترود بيل واحدة من ابرز الضيوف فى هذه المأدبة اشتركت فيها بصورة علنية فى جو التهاني والافراح التي كانت تعبر عن انتهاء المرحلة الاولى من توطيد كيان الدولة العراقية وكانت تلك آخر الحفلات الرسمية التى حضرتها قبيل وفاتها .

ملحق

بالبيانات الرسمية بتعهدات بريطانيا للعرب

سكان العراق

(البيان الأول)

أصدره السر برسي كوكس

في اليوم الخامس من تشرين الثاني سنة ١٩١٤

يجب ألا يخفى عليكم بان حكومة بريطانيا العظمى قد اضطرت مع شديد أسفها الى الدخول فى حالة حرب مع تركيا بسبب أعمالها العدوانية المستمرة ضدنا بلا مبرر بل بدافع تحريض حكومة المانيا التي لها غايات تريد تحقيقها من ذلك . فاضطرت الحكومة البريطانية حينذاك ان ترسل قوة الى شط العرب لحماية تجارتها واصدقائها ولاخراج الجيوش التركية من هذه المنطقة.

وليكن معلوما لدى الجميع بانه ليست للحكومة البريطانية أية خصومة مع العرب سكان شواطيء الأنهار وطالما أظهروا لنا الموالاة ولم يجمعوا الجنود الاتراك ولم يتجولوا حاملين السلاح فلا خوف عليهم ولا على ممتلكاتهم منا .

على كل فاننا ننذرهم بكل صراحة ووضوح بوجوب عدم حملهم السلاح اذ ان ذلك سيؤدي الى عدم تمييزنا بينهم وبين العدو وسيكون الذي يتجول منهم بالسلاح معرضا لاطلاق النار عليه .

برسي . ز . كوكس

المقيم البريطاني في الخليج الفارسي

البيان الثاني

صدر عن مقر القيادة العامة للجيوش البريطانية

المحتلة

الى وجهاء وافراد الشعب في مدينة البصرة

في اليوم الثاني والعشرين من شهر تشرين الثاني سنة ١٩١٤

ليكن معلوما لدى الجميع بانه كانت منذ القدم ولا تزال حتى الآن ملايين عديدة من المسلمين تحت نفوذ الحكومة البريطانية يزيد عددهم كثيرا عما كان منهم تحت نفوذ اية دولة اخرى في العالم لا بل حتى اكثر من عدد اولئك الخاضعين منهم لنفوذ تركيا نفسها ، وكما هو معروف لدى الجميع ايضا بان علاقات بريطانيا مع تركيا كانت علاقات ود واحترام دائمين ، ولما انفجرت الحرب منذ اشهر قليلة بين بعض الدول الاوربية ، ألحت الحكومة البريطانية بشدة زائدة على الباب العالي بوجوب عدم دخول الحكومة العثمانية باية صورة كانت في تلك المعركة نظرا الى ان دخولها في الحرب كان مضراً بالمصالح التركية ، وفضلا عن ذلك أكدت الحكومة البريطانية وحلفاؤها لتركية بانها ستضمن لها تمام استقلالها وسلامتها اذا هي امتنعت عن الاشتراك في الحرب ، غير انه لسوء الحظ لم تقبل تركيا بذلك كما انها لم تصغ الى النصائح التي اسدتها اليها الحكومة البريطانية بهذا الشأن اذ انها كانت قد خدعت وضللت بالدسائس الالمانية الى درجة انها أخذت هي نفسها تقوم باعمال عدوانية ضدنا واضطرتنا الى الدخول في حالة حرب معها .

وها ان الحكومة البريطانية قد احتلت مدينة البصرة غير انها وان كانت في حالة حرب مع الحكومة العثمانية لكنها رغم ذلك لا تضمر عداء اوسوءاً لاهالي المدينة الذين لنا وطيد الامل بان نثبت لهم من انفسنا باننا أحسن أصدقاء وحماة لهم ، ولم يبق اي أثر للحكم التركي في هذه المنطقة وقد رفع في محل العلم التركي علم الحكم البريطاني الذى ستتمتعون تحت ظله بفوائد الحرية والعدل سواء في شؤونكم الدينية او المدنية .

ولقد أصدرت أوامر مشددة الى الجيوش البريطانية المنتصرة بانه يجب عليهم ان يعاملوا الاهلين كافة بكل ود واحترام لدى قيامهم بالواجبات التى تعهد اليهم وعليه فلم يبق عليكم الا ان تعاملوهم انتم بالطريقة نفسها .

وأخيراً فلكم جميعاً ان تمارسوا أعمالكم اليومية ومهنكم كما اعتدتم عليه قبلا ولي وطيد الامل بان الحركة التجارية في البصرة ستستأنف مجراها لا بل انها ستزداد نشاطاً عما كانت عليه في الماضي.

الفريق

برسي . ز . كوكس

ضابط الشؤون السياسية

للجيوش البريطانية

البيان الثالث

الى جميع من يهمهم الامر

كما هو معلوم لدى الجميع لقد أصبحت البقاع التي تمتد بين الفاو والقرنة من العراق تحت احتلال الجيوش البريطانية منذ شهرين مضيا ، وقد سبقنا وأوضحنا للجمهور مراراً بان الحكومة البريطانية دخلت مرغمة الى الحرب

مع تركية بسبب قيام الاتراك باعمال عدوانية عديدة ضدنا بتحريض من المانيا ، غير ان الاعمال الحربية التي تقوم بها الجيوش البريطانية موجهة ضد الحكومة التركية وجيوشها فقط ، اما العرب فلا ترغب الحكومة البريطانية ان تعاملهم كاعداء ما داموا محافظين على ولائهم لنا وحيادهم وتجنبهم استعمال السلاح ضد جنودنا لا بل بالعكس انها ترغب في تحرير العرب من نير الأتراك وفي ترقيتهم وزيادة رخائهم وتجارتهم .

وفي خلال الشهرين الماضيين قدم الكثير من رؤساء طبقات الشعب وشيوخ القبائل العربية المختلفة في ولاية البصرة الطاعة للسلطات البريطانية بعدما رأوا ان ذلك كان في صالحهم والبعض الآخر منهم وقفوا من تلقاء أنفسهم على الحياد من الخصومة بين الحكومتين بينما أقنع العدو غيرهم من الضالين بحمل السلاح ومساعدته في مقاتلة الجيوش البريطانية ، وعليه فقد أصدرنا هذا البيان لاخطار جميع شيوخ وقبائل ولاية البصرة وتوابعها اي القرنة والعمارة والمنتفك بان الحكومة البريطانية ستصادر جميع أملاك اولئك الذين سيتخلون عن ولائهم لنا وحيادهم ويحملون السلاح لمساعدة العدو ضدنا وسوف يصدر اخطار في حينه عندما تجري مصادرة كهذه . هذا ما كان مستوجبا اعلانه .

صدر باسم من القيادة العامة للجيوش البريطانية في العراق .

الفريق

برسي ز. كوكس

رئيس دائرة الشؤون السياسية للجيوش البريطانية

فهرست الكتاب

المذكرة الثانية

﴿مذكرة السر هنري دوبس﴾

جدول الخطأ والصواب

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٧	٢٠	مركزاً سامياً	مركز سام
٢٠	١٥	الست أشهر الأولى	الأشهر الستة الاولى
٢٧	٢٠	آخرون	آخرين
٤٤	٥	اقاع	قمع
٥٠	٨	أعضاء رغائب الجهات المؤتمر	اعضاء المؤتمر
٥٠	٨	من حقيقة	من حقيقة رغبات الجهات
٥٦	٢	قصوى	قصارى
	٧	دقيق	دقيقاً
٥٧	١٣	الجدل الذين	الجدل الذي
	٢٠	والتعويض	والاستعاضة
٥٩	١٥	حرج	حرجاً
	١٧	لن تكن	لن تكون
٦٠	٥	فصدرت	فاصدرت
٦١	٦	مصدر	مصدراً
٦٨	١٠	لم تزحزها	لم تزحزحها
٦٩	٦	ووزراؤه	ووزراءه
٧٤	١٨	وكان ذلك	وكان ذلك الشهر

CHAPTER
In
The Modern History of Iraq
1914 - 1926

THE DEVELOPMENT
of
NATIONAL GOVERNMENT
In IRAQ

Comprising Two Commentaries
on
The Letters of Miss Gertrude Bell
by

Sir Percy Cox & Sir Henry Dobbs.
Former British High Comissioners in Iraq.

Translated into Arabic
by

Bashir D. Farjo
Liverpool University - England

With a Foreword
by

H. E. Sheikh Mohammed Ridha El - Shabeeby
Ex - Minister of Education & Ex - President of
The Iraqi Academy

The - New Ittihad Press
Mosul *Price: 150 fils.*